مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

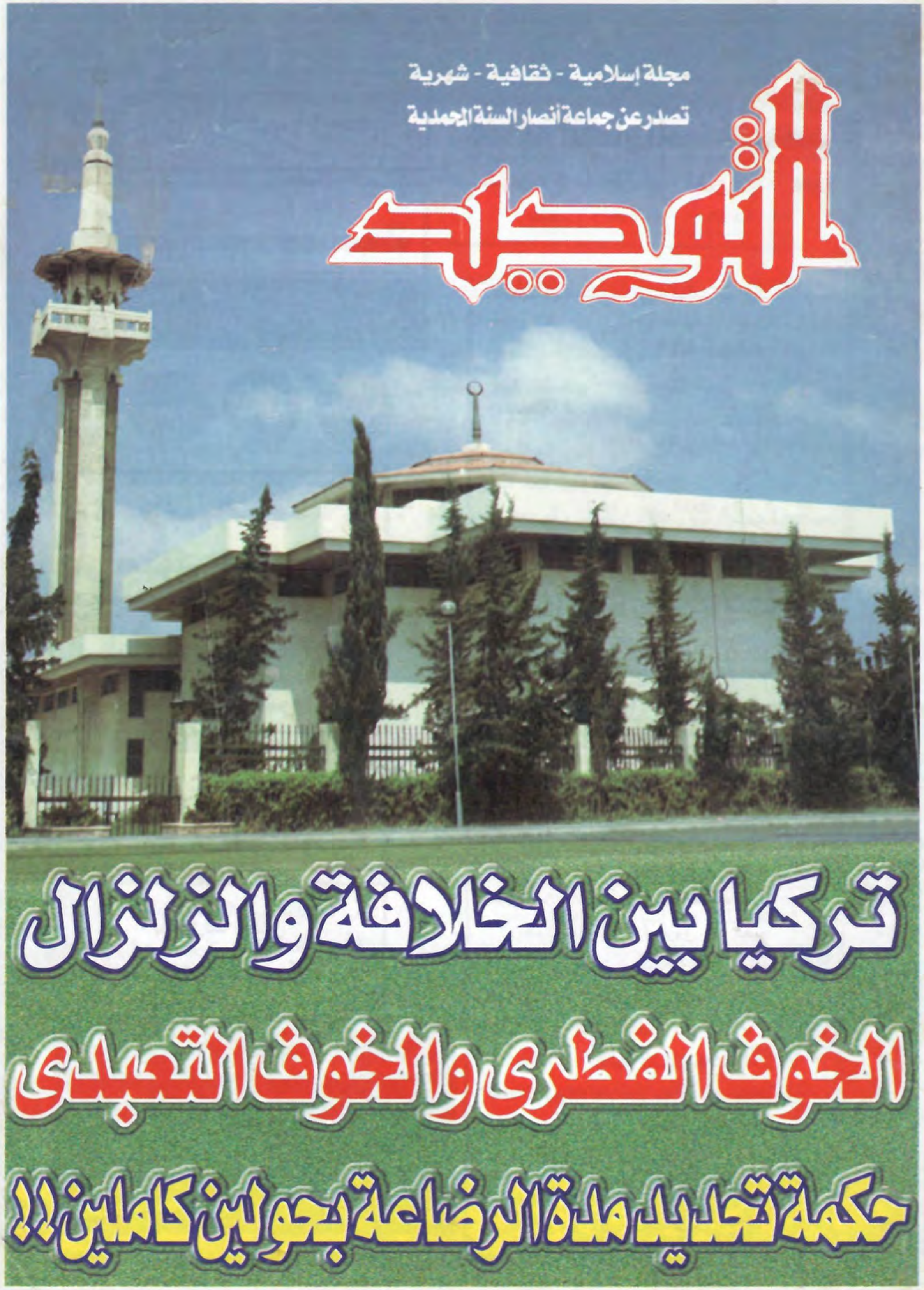

تركيا بين الخلافة والزلزال

الخوف الفطرى والخوف التعبدى

حكمة تحديد مدة الرضاعة بحولين كاملين !!

السنة الثامنة والعشرون - العدد السادس - جمادى الآخر ١٤٢٠هـ الثمن ٧٥ قرشا

بسم الله الرحمن الرحيم

التوحيد

السنة الثامنة والعشرون - العدد السادس -
جمادى الآخرة ١٤٢٠ هـ

مجلة إسلامية ثقافية شهرية

رئيس التحرير
صفوت الشوادفي

مدير التحرير
محمود غريب الشربيني

سكرتير التحرير
جمال سعد حاتم

المشرف الفني
حسين عطا القراط

الاشتراك السنوي :

١- في الداخل ١٠ جنيهات (بحوالة بريدية داخلية باسم : مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين) .

٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالاً سعوديًا أو ما يعادلها. ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك ، على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم : مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية: الرئيس العام:
الخوف الفطري والخوف التعبدي ٢
كلمة التحرير : رئيس التحرير :
تركيا .. بين الخلافة والزلزال ٦
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي:
(سورة الذاريات) الحلقة الثانية ١٠
باب السنة : الرئيس العام : من أحكام المرأة [٢] ١٤
حكمة تحديد مدة الرضاعة بحولين كاملين !!
أ . د / مجاهد محمد أبو المجد ٢٠
بر الوالدين بعد موتهما : مدير التحرير ٢٢
العالم الإسلامي : جمال سعد حاتم :
كينيا بين الإسلام والتنصير ٢٦
أسئلة القراء عن الأحاديث : يجيب عليها :
الشيخ / أبو إسحاق الحويني ٣٢
باب الفتاوى : لجنة الفتوى بالمركز العام ٣٦
الشريعة الإسلامية أصل أحكام القضاء [٣] :
بقلم المستشار د . / فاروق عبد العليم ٤٠
الحرب على الثوابت : الشيخ / محمد حسان ٤٤
لكل عمل شرة : الشيخ / أسامة سليمان ٤٩
قبل أن تغرق السفينة أنقذوا الشباب :
الشيخ / مجدي قاسم ٥٢
عقائد الصوفية : بقلم عميد متقاعد / محمود المراكبي
الخضر في الفكر الصوفي ٥٦
محنة الأمة : بقلم / صرموم يحيى : من الجزائر ٦١
من روائع الماضي : الشيخ / محمد خليل هراس
الكلمة الطيبة صدقة ٦٢

التحرير : ٨ شارع قوله – عابدين – القاهرة : .... ☎ : ٣٩٣٦٥١٧

فاكس : ٣٩٣٠٦٦٢

قسم التوزيع والاشتراكات : .... ☎ ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي :

مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية .

ثمن النسخة :

مصر ٧٥ قرشاً ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس ، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس ، السودان ١,٥ جنيه مصري ، العراق ٧٥٠ فلس ، قطر ٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني .

مع القراء

بداية جديدة !!

بعد أيام قلائل تفتح المدارس أبوابها لتستقبل أبناءها ؛ وقد أصبح التعليم في مصرنا يقوم على محاور فاسدة وثابتة !! أهمها :

✹ مدرس لا يراقب الله في شرحه !

✹ دروس خصوصية قبل أول يوم وبعد آخر يوم !؟

✹ غش في الامتحانات الشهرية ونصف السنوية وآخر العام يتعاون فيه الجميع !

فما قيمة هذا العلم ؟ وما فائدة التعليم وثمرته ؟

✹ والجواب : شهادة أو مؤهل يحصل عليه الطالب عندما يتخرج ، وقد أفتى بعض العلماء أن من أراد أن يتوب إلى الله توبة نصوحاً من معصية الغش ، فعليه أن لا يستفيد من شهاداته التي جاءت من طريق الغش !! فصاحب المؤهل العالي الذي غش في امتحانات الاعدادية يكون – بعد التوبة – حاصلا على الابتدائية فقط !!

رئيس التحرير

الافتتاحية

الخوف الفطري ..
والخوف التعبدي

بقلم الرئيس العام / محمد صفوت نور الدين

الحمد للَّه وحده ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله وصحبه .. وبعد :

فإن الخوف عارض يصيب البشر وكثيرًا من المخلوقات ، لكنه داخل في التكليف للمكلَّفين ؛ لذا جاء الأمر به والنهي عنه . قال تعالى : ﴿ إنَّمَا ذَلِكُمْ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلاَ تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٧٥] .

والخوف : منه ما هو فطري ؛ كالخوف من اللص ، أو من المرض ، أو الخوف من سلطان غاشم ، أو حاكم ظالم ، أو الخوف من الثعبان والسبع والكلب العقور ، أو الخوف من غضب الوالدين ، أو من ضياع المال . وبالجملة فالخوف الفطري خوف سببي ؛ أي تخاف الثعبان أن يلدغك ، أو اللص أن يسرقك ، أو السلطان الغاشم أن يظلمك ، أو من الوالد إذا غضب أن تُحرم حنانه أو تنال عقابه ، ومنه خوفك على ولدك أو مريضك ، وغير ذلك .

ومنه الخوف التعبدي ؛ وهو الخوف من اللَّه عند أهل التوحيد ، ومنه الخوف من الأصنام والمقبورين ، وكل ما عُبد من دون اللَّه تعالى .

وسمة الخوف التعبدي أنه خوف سر ، وأنه يجتمع مع الحب في آنٍ واحد ، بينما الخوف الفطري خوف سببي لا يجتمع مع الحب ، بل غالبًا ما يجتمع مع البغض ، فإن من خاف من اللص أو الثعبان أو الكلب أو السلطان الغاشم ، فإنه يكرهه ولا يحبه ، حتى الذي يخاف من غضب والديه لا يحب لهما ذلك الغضب ويجتنب أن يغضبهما ، أما المشرك فإنه يدعو معبوده خوفًا وطمعًا ، وينذر إليه محبة له وخوفًا من شره .

والمشركون يزعمون أن لأوليائهم سرًا يخيفون الناس من هذا السر ، كما يخاف المؤمنون من اللَّه سبحانه : ﴿ وكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم باللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام : ٨١] .

☐ الخوف التعبدي لا يجوز أن يصرف منه شيء لغير الله سبحانه ، والله سبحانه يظهر للناس من آياته وآثار قدرته ليخافوه ، فيدفعهم ذلك الخوف لاجتناب المعاصي ولزوم الطاعات !!

☐ الخوف الفطري خوفٌ سببيٌ لا يجتمع مع الحب ، بل غالبًا ما يجتمع مع البغض ، والمشرك يدعو معبوده خوفًا وطمعًا ، وينذر إليه محبة له وخوفًا من شره !!

لذا كان الخوف من المقبور شركًا ، والخوف من الله توحيدًا ، والخوف الفطري لا يدخل فيهما ، فمن الخوف الفطري ما كان من الأنبياء ، حيث قال يعقوب عليه السلام : ﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُواْ بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ [يوسف : ١٣] ، وقال زكريا عليه السلام : ﴿ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥] ، وقال سبحانه عن موسى : ﴿ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾ [القصص : ١٨] ، وقال : ﴿ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص : ٢١] ، فخوف يعقوب عليه السلام على ولده ، وخوف زكريا عليه السلام على أهله ، وخوف موسى عليه السلام على نفسه ، كل ذلك من الخوف الفطري ، فلم يقل لهم رب العالمين هذا شرك .

إلا أن الخوف الفطري يروضه الإيمان ، فهذا نبي الله وكليمه موسى عليه السلام يولد في خيفة ، تخاف أمه عليه ، ويُربى في خيفة ، ويخرج من مصر خائفًا يترقب ، فلما عاد ورأى النار فجاءها ، فأمره ربه فألقى عصاه ، فانقلبت حية ، فخاف وولى مدبرًا ولم يعقب حتى طمأنه الله سبحانه ، فكان هذا أول تجارب الإيمان التي روضت الخوف عنده ، فلما أمره ربه أن يذهب إلى فرعون ، عبر عما كان في نفسه بقوله : ﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى ۞ قَالَ لاَ تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [طه : ٤٤، ٤٥] ، وقال سبحانه : ﴿ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۞ وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلاَ يَنطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى هَارُونَ ۞ وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۞ قَالَ كَلاَّ فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢ - ١٥] ، وأوصاه رب العزة سبحانه : ﴿ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ ﴾ [القصص : ٣٢] .

يقول ابن كثير : أمره عليه السلام إذا خاف من شيء أن يضمم إليه جناحه من الرهب ، وهو يده ، فإذا فعل ذلك ذهب عنه ما يجده من الخوف .

فلما ذهب إلى فرعون فأمره ونهاه ، وفعل ما أمره ربه زال عنه ذلك الخوف . وذكر ابن كثير عن مجاهد قال : كان موسى عليه السلام قد ملئ قلبه رعبًا من فرعون ، فكان إذا رآه قال : اللهم إني أدرأ بك في نحره ، وأعوذ بك من شره ، فنزع اللَّه ما كان في قلب موسى عليه السلام ، وجعله في قلب فرعون ، فكان إذا رآه بال كما يبول الحمار . اهـ .

فكان الإيمان مروضًا للخوف الفطري ، حتى اجتمع موسى عليه السلام بسحرة فرعون ، ووعظهم وذكرهم ، فلما ألقوا حبالهم وعصيهم ، وخيل إليه من سحرهم أنها تسعى : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴾ [طه : ٦٧، ٦٨] ، فلم يظهر من الخوف شيء ، وإن كان قد أوجس الخوف في نفسه ، حتى إذا كان الإيمان والطمأنينة قد عمرت قلبه ، وعاين من أمر اللَّه سبحانه ما رفع اللَّه به ذلك الخوف الفطري ، فإذا به في موقف عصيب شديد ، حيث خرج موسى عليه السلام بقومه ، فلما بلغوا البحر فنظر القوم ، فإذا فرعون بجنده خلفهم والبحر أمامهم ، فاشتد بهم الخوف : ﴿ فَلَمَّا تَرَاءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾ [الشعراء : ٦١، ٦٢] .

فتدبر كيف أن الخوف الفطري لم يظهر له أثر ، وحل محله طمأنينة الإيمان لمعية الرحمن ، وكذلك الخوف الفطري يروضه الإيمان حتى لا يظهر له أثر .

فالخوف التعبدي لا يجوز أن يصرف منه شيء لغير اللَّه سبحانه ، واللَّه سبحانه يظهر للناس من آياته وآثار قدرته ليخافوه ، فيدفعهم ذلك الخوف لاجتناب المعاصي ولزوم الطاعات ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ﴾ [الإسراء : ٥٩] .

ولقد حدث في أيام قريبة مضت كسوف الشمس ، وقامت وسائل الإعلام بتعريف الناس به وتخويفهم منه ، حتى خلت الشوارع والطرقات وسائر المواصلات من الناس ، ولزموا البيوت ، فخافوا الخوف الفطري ، فهل أحدث ذلك (الأثر الشرعي) بالخوف من اللَّه الذي أرسل هذه الآية ، فلو حدث ذلك ، فهو سبحانه يقول : ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات : ٢٠، ٢١] ، ويقول ﷺ : « إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللَّه ، لا يكسفان لموت أحد ولا لحياته ، فإذا رأيتموهما فصلوا حتى تنجلي » . أم خرج الناس كخروج فرعون وقومه ، حيث قال تعالى : ﴿ وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ * فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴾ [الزخرف : ٤٨- ٥٠] .

فالخوف التعبدي هو ما يدفع العبد إلى لزوم شرع اللَّه سبحانه ، والقدر من الخوف الذي يحمل على أداء الفرائض وترك المحارم هو الخوف الواجب ، فإن زاد ذلك الخوف حتى جعل صاحبه يشمر لفعل النوافل واجتناب المكروهات ، وعدم التوسع في المباحات ، كان ذلك الخوف مندوبًا إليه ، محمودًا عند خالقه ، فإن زاد حتى قطع صاحبه عن السعي والكسب كان ذلك غلوًا فاسدًا وفهمًا سقيمًا وسلوكًا خاطئًا .

ولذا يقول ابن رجب : إن اللَّه خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه ويخشوه ويخافوه ، ونصب لهم الأدلة الدالة على عظمته وكبريائه ليهابوه ويخافوه خوف الإجلال ، ووصف لهم شدة عذابه ودار عقابه التي أعدها لمن عصاه ليتقوه بصالح الأعمال ؛ ولهذا كرر سبحانه وتعالى في كتابه ذكر النار ، وما أعده فيها لأعدائه من العذاب والنكال ، وما احتوت عليه من الزقوم والضريع والحميم والسلاسل والأغلال ، إلى غير ذلك مما فيه من العظائم والأهوال ، ودعا عباده بذلك إلى خشيته وتقواه ، والمسارعة إلى امتثال ما يأمر به ويحبه ويرضاه ، واجتناب ما ينهى عنه ويكرهه ويأباه ، فمن تأمل الكتاب الكريم وأدار فكره فيه ، وجد من ذلك العجب العجاب . اهـ .

وهذا هو الخوف الذي أمَر به النبي ﷺ في حديث الترمذي ؛ قال ﷺ : ((من خاف أدلج ، ومن أدلج بلغ المنزل ، ألا إن سلعة اللَّه غالية ، ألا إن سلعة اللَّه الجنة)) .

ولقد خطب النبي ﷺ بعد صلاة الكسوف خطبة بليغة فيها مخاوف كثيرة ، جاء فيها : يا أمة محمد ، واللَّه ما أحد أغير من اللَّه أن يزني عبده أو أن تزني أمته ، يا أمة محمد ، لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا ، ولقد رأيت جهنم يَحْطِم بعضها بعضًا ، فلم أر منظرًا قط أفظع منها . ولقد رأيت عمرو بن لُحَيٍّ يجر قُصْبَه في النار ، وهو الذي سيب السوائب ، ورأيت صاحبة الهرة التي ربطتها حتى ماتت جوعًا ؛ رأيتها تنهشها إذا أقبلت وإذا ولت تنهش إليتها ، وإنكم تفتنون في القبور كفتنة الدجال ، يقال : ما علمك بهذا الرجل ؟ فأما المؤمن فيقول : هو محمد رسول اللَّه ﷺ ، جاءنا بالبينات والهدى فأجبناه وآمنا به واتبعناه ، فيقال : نم صالحًا ، وإن كنت لموقنًا به . وأما المنافق فيقول : لا أدري ، سمعت الناس يقولون قولاً فقلت كما يقولون ، وإنه - واللَّه أعلم - لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون كذابًا ، آخرهم الأعور الدجال ، ممسوح العين اليسرى ، يزعم أنه اللَّه ، فمن آمن به وصدقه واتبعه لم ينفعه صالح من عمله سلف ، وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس ، فيزلزلون زلزالاً شديدًا ، ثم يهلكه اللَّه عز وجل .

هذا ، والآيات تمر علينا كل لحظة في أنفسنا وفيما حولنا ، فالناجي من خاف ربه ، فتاب من ذنبه ورجع إلى مولاه ، والخاسر من ألقى الأماني .

وكذلك ينبغي أن ننبه على الخوف التعبدي ألا يُصرف إلاَّ للَّه سبحانه ، ولا ينبغي للوعاظ والدعاة أن يخلطوا بين الخوف الفطري والخوف التعبدي .

واللَّه من وراء القصد .

وكتبه / محمد صفوت نور الدين

تركيا بين

بقلم رئيس التحرير

صفوت الشوادفي

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [النحل : ١١٢] .

لقد كانت تركيا بالأمس هي دار الخلافة الإسلامية ، وحامية حمى الإسلام والمسلمين ، وقد أصبحت بعد ذلك من أشد الناس عداوة للإسلام وحربًا عليه ، وعونًا لأعدائه على أتباعه !!

وكانت بداية الكارثة والمصيبة العظمى يوم أن أعلن مصطفى كمال أتاتورك إلغاء الخلافة الإسلامية ، وكان هذا الملحد الزنديق سببًا في أن أصبح العالم الإسلامي للمرة الأولى منذ وفاة النبي ﷺ بلا خلافة !!؟

وترتب على إلغاء الخلافة طرد الخليفة - بعد خلعه - وآله وأسرته جميعًا إلى خارج حدود تركيا ، بعد أن جردَهم من كل أملاكهم وأموالهم ، وتم حرمانهم من الجنسية التركية ، كما فعلوا اليوم مع نائبة البرلمان التي ارتدت الحجاب !!

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ؛ بل تم ضم الأوقاف الخيرية إلى أملاك الدولة ، وإلغاء التعليم الديني ، وإغلاق المحاكم الشرعية ، وإبطال العيدين ، وصلاة الجمعة ، وقتل العلماء والفقهاء ؛ بل وقتل كل من ارتفع صوته مطالبًا برعاية حق الدين وحرمته ، وأقاموا لهؤلاء محكمة وهمية تحكم بقتلهم ؛ وسمَّوها « محكمة الاستقلال » !!

كما أباح أتاتورك وأعوانه تزوج المسلمات بالنصارى وحرَّموا تعدد الزوجات ، وأخرجوا نساء المسلمين متبرجات إلى الرقص والبارات ، وألغوا تعليم القرآن والدين من جميع المناهج الدراسية ، ومنعوا الشعب التركي من الحج إلى بيت الله الحرام ، وأحلوا الحروف اللاتينية محل الحروف العربية .

الخلافة والزلزال

وقد قام الأزهر الشريف - في ذلك الوقت - بدور عظيم في التصدي لهذه الكارثة ، وتحذير المسلمين من شرها وخطرها وضررها ؛ فأصدر علماء الأزهر بيانًا موقعًا من كبار علمائه ، وأُذيع بعد إلغاء الخلافة بأربعة أيام فقط ، وقرر البيان بطلان ما فعله أتاتورك من عزل الخليفة الذي انعقدت له البيعة من المسلمين جميعًا .

وكتب وكيل الأزهر - في ذلك الوقت - العلاّمة الشيخ محمد حسنين مقالا جاء فيه :

(... إن الإجماع منعقد على وجوب نصب خليفة للمسلمين ، وقد ورد في ((صحيح مسلم)) : ((من مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية)) . وأولى الناس بهذا الواجب الخطير الأُمة المصرية ؛ فإن فيها من علماء الدين وطلاب العلم آلافًا عديدة ، ومن أهل الحل والعقد وذوي الرأي ما لا يجتمع في غيرها ، وفيها الأزهر الشريف الذي امتازت به مصر عن سائر الأقطار ؛ يؤمه القاصي والداني في مشارق الأرض ومغاربها ؛ ولمصر في نفوس العالم الإسلامي منزلة تستحق معها السبق إلى هذا الواجب الأكيد ؛ فيجب على العلماء وأهل الحل والعقد أن يبادروا إلى النظر في بيعة خليفة للمسلمين ؛ حتى يخرجوا من عهدة هذا المنصب الخطير) . اهـ .

وفي عصرنا الحاضر ضاعف المسئولون العلمانيون الأتراك ، ومعهم الجيش التركي من عداوتهم للإسلام وحربهم للمسلمين .

❋ فسمحوا للحلفاء الأعداء أن يستخدموا أرض تركيا قاعدة لهم ينطلقون منها لقتل الشعب العراقي المسلم بأطفاله ونسائه وشيوخه !!

❋ وقتلوا وشردوا الأكراد ، ومزقوهم كل ممزق بغير أسباب حقيقية ؛ والأكراد جنسية لفئة مسلمة أكثرهم من أهل السنة والجماعة .

❋ واضطهدوا الشعب التركي المسلم ، وحاربوا كل محاولة إسلامية للمطالبة بتطبيق الشريعة ، أو حتى الالتزام الشخصي بها ؛ وما حدث مع نجم الدين أربكان وحزبه خير شاهد ودليل .

❋ وحاربوا اللحية والحجاب ؛ وهما من شعائر الإسلام ، وقد رأى

سمح الأتراك للحلفاء من أعداء المسلمين أن يستخدموا أرض تركيا قاعدة لهم ينطلقون منها لقتل الشعب العراقي المسلم بأطفاله ونسائه وشيوخه !!

المسلمون في العالم حقدهم وبغضهم عندما دخلت نائبة مسلمة البرلمان بحجابها ، فقامت الدنيا ولم تقعد حتى خرجت ، وفُصلت ، وحُرمت من الجنسية التركية !! وهي تركية !!

ونحن لا نؤيد دخول المرأة المسلمة عضوية البرلمان ، لكننا نتعجب من صنيع هؤلاء الملاحدة الذين ينتسبون إلى الإسلام ظلمًا وزورًا !!

❋ أقاموا معاهدات قوية مع اليهود في مجالات عديدة ؛ منها معاهدة دفاع مشترك ؛ ولا ندري ضد مَن غير العرب والمسلمين ؟!!

❋ أعلنوا الحرب على الشريعة في كافة المجالات ، واضطهدوا كل داعٍ إلى اللَّه ، وتقوم سياستهم دائمًا على ((التنكيل بالمسلمين ، والتمكين للعلمانيين)) .

وأملى اللَّه لهم ، واستدرجهم بنعمه الكثيرة الوافرة ، فكفروا بأنعم اللَّه ؛ فأمضى اللَّه فيهم سننه التي لا تتبدل ولا تتحول ؛ فأنزل عليهم بلاءً عظيمًا لا قِبل لهم به ، وضربهم بزلزال كثيف عنيف مخيف !! فملأ قلوبهم رعبًا وخوفًا وهلعًا وفزعًا ، ودمر بلادًا بأسرها ، وقتل أربعين ألفًا ، وجرح وأصاب أضعاف هذا العدد ، وشرد مئات الآلاف ، وخرج الملايين إلى الشوارع ، وكان هذا الزلزال العنيف المروع آية من اللَّه ، وتخويفًا وإنذارًا لأُمة عتت عن أمر ربها وحاربت شريعته ، فأذاقهم اللَّه لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون .

وإن مما ينبغي التنبه له أن لهذه الزلازل أسبابًا علمية وأسبابًا شرعية ؛ فأما أسبابه العلمية فيعرفها المتخصصون في هذه العلوم ؛ وليس هذا موضع ذكرها ، وأما أسبابه الشرعية ؛ فقد وردت في السنة الصحيحة .

❋ منها قوله ﷺ : ((إذا ظهر الربا والزنا في قريةَ فقد أحلَوا بأنفسهم عذاب اللَّه)) . فكيف يكون الأمر وقد ظهر الربا والزنا في العالم بأسره – عياذًا باللَّه من ذلك .

❋ ومنها قوله ﷺ : ((سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ ، إذا ظهرت المعازف والقينات ، واستحلت الخمر)) . [((صحيح الجامع))] .

وقد أصبحت هذه المحرمات ظاهرة منتشرة آناء الليل والنهار .

❋ ومنها قوله ﷺ : ((إذا ظهر السوء في الأرض أنزل اللَّه بأسه بأهل الأرض ، وإن كان فيهم قوم صالحون يصيبهم ما أصاب الناس ، ثم يرجعون إلى رحمة اللَّه ومغفرته)) . [((صحيح الجامع الصغير))] .

❋ ومنها ما كتبه الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز إلى أهل

الحكومة العلمانية في تركيا أعلنت الحرب ضد اللحية والحجاب ، وهما من شعائر الإسلام ، وقامت الدنيا ولم تقعد بسبب دخول نائبة مسلمة البرلمان مرتدية الحجاب !!

الأمصار : (أما بعد : فإن هذا الرجف شيء يعاتب الله عز وجل به العباد) ، وأمرهم بالصدقة ، والتوبة والاستغفار .

ولعظم شأن الخلافة الإسلامية ، وعلو منزلتها في الشريعة ، فقد ألف العلامة الشيخ محمد رشيد رضا كتاب الخلافة أو الإمامة العظمى ، وورد في ثنايا الكتاب نصيحة غالية وجهها المؤلف إلى الشعب التركي ، وننقلها هنا بنصها وفصها ؛ لأن المسلمين اليوم في أمسِّ الحاجة إلى مثلها .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا ، رحمه الله : أيها الشعب التركي ، إن الإسلام أعظم قوة معنوية في الأرض ، وإنه هو الذي يمكن أن يحيي مدنية الشرق وينقذ الغرب ، فإن المدنية لا تبقى إلا بالفضيلة ، والفضيلة لا تتحقق إلا بالدين ، ولا يوجد دين يتفق مع العلم والمدنية إلا الإسلام ، إنما عاشت المدنية الغربية هذه القرون بما كان فيها من توازن بين بقايا الفضائل المسيحية ، مع التنازع بين العلم والتعاليم الكنسية ، فإن الأمم لا تنسلُ من فضائل دينها ، بمجرد طروء الشك في عقائده على أذهان الأفراد والجماعات منها ، وإنما يكون ذلك بالتدريج في عدة أجيال ، وقد انتهى التنازع بفقد ذلك التوازن ، وأصبح الدين والحضارة على خطر الزوال ، واشتدت حاجة البشر إلى إصلاح روحي مدني ثابت الأركان ، يزول به استعباد الأقوياء للضعفاء ، واستذلال الأغنياء للفقراء ، وخطر البلشفية على الأغنياء ، ويبطل به امتياز الأجناس ، لتحقق الأخوة العامة بين الناس ، ولن يكون ذلك إلا بحكومة الإسلام التي بيناها بالإجمال في هذا الكتاب .

أيها الشعب التركي الباسل ، إنك اليوم أقدر الشعوب على أن تحقق للبشر هذه الأمنية ، فاغتنم هذه الفرصة لتأسيس مجد إنساني خالد ، لا ينكر معه مجدك الحربي التالد ، ولا يَجْرِمَنَّكَ المتفرنجون على تقليد الإفرنج في سيرتهم ، وأنت أهل لأن تكون إمامًا لهم بمدنية خير من مدنيتهم ، وما ثمَّ إلا المدنية الإسلامية الثابتة قواعدها ، المعقودة على أساس العقيدة الدينية ، فلا تزلزلها النظريات التي تعبث بالعمران ، وتفسد نظم الحياة الاجتماعية على الناس . اهـ .

❋ وبعد :

هل ينتفع المسلمون بهذه الأحداث ؟

وهل يثمر التدبر عودة صادقة إلى الله ؟

وهل نكون ممن إذا جاءهم بأس الله تضرعوا ؟

وانتفعوا وخشعوا . نسأل الله ذلك ، وما ذلك على الله بعزيز .

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وآله وصحبه .

رئيس التحرير

أعلن العلمانيون في تركيا الحرب ضد الإسلام ، وأقاموا المعاهدات مع اليهود واتفاقيات الدفاع المشترك ضد العرب والمسلمين!!

باب التفسير

سورة الذاريات

الحلقة الثانية

بقلم الدكتور:

عبد العظيم بدوي

﴿ إنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ❁ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ❁ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ❁ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ❁ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ❁ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ❁ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ❁ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ❁ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ [الذاريات : ١٥- ٢٣] .

لما ذكر اللّه تعالى مآل المكذبين بيوم الدين ، ذكر مآل المؤمنين المتقين ، على طريقة القرآن في الجمع بين الوعد والوعيد ، وبيَن الترغيب والترهيب ، فقال : ﴿ إنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ❁ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ ؛ والمتقون هم كل من اتقى الشرك والكفر وجميع ما حرم اللّه ، وهؤلاء يوم القيامة : ﴿ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ❁ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ من النعيم والسرور : ﴿ جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا ﴾ [النبأ : ٣٦] ، بسبب : ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ ﴾ في الدار الدنيا ﴿ مُحْسِنِينَ ﴾ ، و﴿ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ ﴾ [الرحمن : ٦٠] ، ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلا ذِلَّةٌ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [يونس : ٢٦] .

ثم فسَر إحسانهم فقال : ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ❁ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ . قال الحسن البصري : كابدوا قيام الليل ، فلا ينامون من الليل إلا أقلَه . ونشطوا فمدَوا إلى السحر ، حتى كان الاستغفار بسحر . وقال رحمه اللّه : كان الأحنف بن قيس يقول : عَرَضْتُ عملي على عمل أهل الجنة ، فإذا قومٌ قد باينونا بونًا بعيدًا ، إذا قومٌ لا نبلغ أعمالهم ، ﴿ كَانُوا قَلِيلاً مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ ، وعَرَضْتُ عملي على عمل أهل النار ، فإذا قومٌ لا خير فيهم ، مكذِبون بكتاب اللّه وبرسل اللّه ، مكذِبون بالبعث بعد الموت ، فقد وجدت منْ خيرنا

منزلةً قومًا خلطوا عملاً صالحًا وآخر سيئًا .

ولقد جعل الله تعالى قيام الليل دليل الإيمان ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۞ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [السجدة : ١٥، ١٦] ، ثم ذكر ما أعدَّ لهم في جنات النعيم ، فقال : ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة : ١٧] .

وفرَّق سبحانه بيْن من يقوم الليل وبيْن من لا يقومه ، فقال تعالى : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩] .

ولقد كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطَّر قدماه ، فقالت له عائشة ، رضي الله عنها : لِمَ تفعلُ هذا وقد غفر الله لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : « أفلا أكون عبدًا شكورًا » .

وكان ﷺ يحثُّ أصحابه على قيام الليل ويرغبهم فيه ، وأُثِر عنه في ذلك أحاديث كثيرة ، منها : قوله ﷺ : « إنَّ في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها منْ باطنها ، وباطنُها منْ ظاهرها ، أعدَّها الله تعالى لمن أطعم الطعام ، وألان الكلام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام » . [حديث حسن . أخرجه الترمذي (٣/٢٣٨/٢٠٥٠)] .

وقوله ﷺ : « عليكم بقيام الليل ، فإنه دأب الصالحين قبلكم ، وقربة إلى الله تعالى ، ومنهاة عن الإثم ، وتكفير للسيئات » . [حديث صحيح . أخرجه الترمذي (٥/٢١٢/٣٦١٨)] .

وقوله ﷺ : « أتاني جبريل ، فقال : يا محمد ، عش ما شئت فإنك ميِّت ، وأحبب منْ شئت فإنك مفارقه ، واعمل ما شئت فإنك مجزيٌّ به ، واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل ، وعزه استغناؤه عن الناس » . [حديث حسن . أخرجه الحاكم (٤/٣٢٤)] .

وقوله ﷺ : « رحم الله رجلا قام من الليل فصلى وأيقظ امرأته فصلت ، فإن أبت نضح في وجهها الماء ، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى ، فإن أبى نضحت في وجهه الماء » . [حديث حسن صحيح ، رواه أبو داود (٤/١٩٣/١٢٩٤) ، وابن ماجه (١/٤٢٤/١٣٣٦) ، والنسائي (٣/٢٠٥)] .

فاحرص يا عبد الله على قيام الليل ، واعلم أنه من كل الليل أوتر رسول الله ﷺ ؛ من أول الليل ، وأوسطه ، وآخره ، وانتهى وتره إلى السحر . [أخرجه البخاري (٩٩٥) ، ومسلم (٧٤٥) ، واللفظ له ، والنسائي (٣/٢٣٠)] .

فأفضل أوقات القيام السحر ؛ وذلك لأنه ساعة نزول الرب عز وجل ، كما قال ﷺ : « ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليلة ، حين يمضي ثلث الليل الأول ، فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ، من ذا الذي يسألني فأعطيه ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ، فلا يزال كذلك حتى يضيء الفجر » . [أخرجه البخاري (١١٤٥) ، ومسلم (٧٥٨) ، واللفظ له ، والترمذي (٣٥٦٥) ، وأبو داود (١٣٠١) ، وابن ماجه (١٣٦٦)] .

فـ « من خاف أن لا يقوم من آخر الليل فليوتر أوله ، ومن طمع أن يقوم آخره فليوتر آخر الليل ، فإن صلاة آخر الليل مشهودة ، وذلك أفضل » . [أخرجه مسلم (٧٥٥) ، والترمذي (٤٥٥)] .

فإذا أخرت الصلاة فلتنمْ عازمًا على القيام ، فإنْ بعثك الله ، وإلا كتب لك أجر ما نويت . قال ﷺ : « منْ أتى فراشه وهو ينوي أن يقوم يصلي من الليل ، فغلبته عينه حتى يصبح ، كتبَ له ما نوى ، وكان نوْمه صدقةً عليه من ربه » . [أخرجه ابن ماجه (١٣٤٤) ، والنسائي (٣/٢٥٨)] .

نسأل الله أن يعيننا على قيام الليل .

﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ . لما ذكر إحسانهم فيما بينهم وبينه ، ذكر إحسانهم فيما بينهم وبين عباده ، فقال : ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾ ، والسائل هو الذي يسأل ويمد يده . والمحروم : هو المتعفف ، ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاء مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ لاَ يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ [البقرة : ٢٧٣] ، ولكنهم لا يَخفوْن على المتقين ، ولذا جعلوا لهم حقًّا وإن لم يسألوا ، وتأمل كلمة : ﴿ حَقٌّ ﴾ تعلم أن هؤلاء المحسنين للسائل والمحروم ، حين يبذلون وتمتد أيديهم بالعطاء ، لا يرون لأنفسهم فضلاً على الفقراء ، و﴿ لاَ يُتْبِعُونَ مَا أَنفَقُواُ مَنًّا وَلاَ أَذًى ﴾ [البقرة : ٢٦٢] ؛ لأنهم يرون أنهم يدفعون حقًّا كان عندهم ، وإذا كان لرجل عند آخر حقٌّ فسأله فأيّ فضل لمن عنده الحق على السائل ، الذي لم يسأل إلا حقّه !

فإذا أنفقت نفقة يا عبد الله فـ ﴿ .. لا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴾ [المدثر : ٦] ، وتأمل قول الله تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لاَّ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦٣، ٢٦٤] .

ثم لفت اللهُ تعالى الأنظارَ إلى مظاهر قدرته ، ودلائل وحدانيته ، فقال : ﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۞ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ ﴾ أعميان أنتم لا ترون ! لقد سألوا رسول الله ﷺ أن يأتيهم بآية ؛ كناقة صالح ، وعصا موسى : ﴿ وَأَقْسَمُواْ بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾ [الأنعام : ١٠٩] . قال تعالى :

﴿ مَا آمَنَتْ قَبْلَهُم مِّنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء : ٦] ! ومع ذلك فالآيات كثيرة لو كانوا صادقين ، ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج : ٤٦] .

﴿ وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ ، جبال وبحار ، وأنهار وأشجار ، ﴿ وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الرعد : ٤] ، وفي أنفسكم آيات تدل على قدرة الله ووحدانيته ، ﴿ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۞ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ۞ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [الطارق : ٥- ٧] ، ﴿ قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ۞ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ۞ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ ۞ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ۞ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۞ ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ ﴾ [عبس : ١٧- ٢٢] من شقَّ لك سمعك وبصرك ؟ ومن أنعم عليك بهذه الأصابع وجعلها بهذه المفاصل حتى تستطيع أن تستعملها في الأعمال ، تحركها وتثنيها وتقبضها كيف تشاء ؟ ﴿ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ ﴾ [الملك : ٢٣] .

﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ قال العلماء : المراد بالرزق المطر ؛ لأنه سببه ، وقد سمى الله المطر رزقًا في أكثر من آية ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۞ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۞ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الجاثية : ٣- ٥] ، فالرزق هو المطر ، ﴿ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ من خير أو شر ، ﴿ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴾ هذا هو القسم السادس في السورة الكريمة ؛ يقسم تعالى بنفسه الكريمة أن ما وعدهم به من الرزق والبعث والجزاء كائن لا محالة ، وهو حق لا مرية فيه ، فلا تشكوا فيه كما لا تشكوا في نطقكم حين تنطقون .

فيا عبد الله ، رزقك هذا الذي يشغلك عن طاعة الله مكفول مضمون : ﴿ فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت : ١٧] ، قال رسول الله ﷺ : « إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله » . [« الجامع الصغير » : (١٩٩٨)] .

ولذا كان رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : يا ابن آدم ، تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنًى وأسدّ فقرك ، وإن لم تفعل ملأت صدرك شغلاً ولم أسدّ فقرك » .

وليس معنى هذا أننا نترك العمل والسعي ، ونجلس في المساجد ليلاً ونهارًا ، ونقول : نتفرغ للعبادة ، لا ، ليس هذا هو المقصود ، وإنما : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ [الملك : ١٥] ، ولكن لا تنشغل بذلك عن الواجبات ، ولا تقدّم أمر الدنيا على أمر الله ، فإذا سمعت - مثلاً -: حيّ على الصلاة ، حي على الفلاح ، فحيهلا ، لا تتأخر ، وهكذا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

* * *

الحلقة الثانية

من أحكام المرأة

الحمد للَّه ، والصلاة والسلام على خير خلقه وإمام رسله وخاتم أنبيائه محمد وآله وصحبه ، وبعد :

ذكرنا في العدد الماضي حق المرأة في الإنفاق عليها ، ونضيف إلى ذلك ما جاء في « الموسوعة الفقهية » : من حقوق الزوجة على زوجها : النفقة ، وقد أجمع علماء الإسلام على وجوب نفقات الزوجات على أزواجهن بشروط يذكرونها في باب النفقة ، والحكمة في وجوب النفقة لها أن المرأة محبوسة على الزوج بمقتضى عقد الزواج ، ممنوعةً من الخروج من بيت الزوجية إلا بإذن منه للاكتساب ، فكان عليه أن ينفق عليها ، وعليه كفايتها ، فالنفقة مقابل الاحتباس .

والمقصود بالنفقة توفير ما تحتاج إليه الزوجة من طعام ومسكن وخدمة ، فتجب لها هذه الأشياء ، وإن كانت غنية لقوله تعالى : ﴿ وَعلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ، وقال عز من قائل : ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ﴾ [الطلاق : ٧] . وفي الأثر أن رسول اللَّه ﷺ قال في خطبة حجة الوداع : « فاتقوا اللَّه في النساء ، فإنكم أخذتموهن بأمان اللَّه واستحللتم فروجهن بكلمة اللَّه ، ولكم عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضربًا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف » . اهـ .

ثانيًا : حق المرأة في الميراث :

آيات المواريث في سورة « النساء » أربع آيات جمعت أحكام المواريث .

الآية الأولى في قوله تعالى : ﴿ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ [النساء : ٧] .

الآية الثانية والثالثة في قوله تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيمًا ۞ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِن لَّمْ يَكُن لَّكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُم مِّن بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلالَةً أَو امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوَاْ أَكْثَرَ مِن ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاء فِي الثُّلُثِ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَآرٍّ وَصِيَّةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ [النساء : ١١، ١٢] .

الآية الرابعة في قوله تعالى : ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلالَةِ إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُواْ إِخْوَةً رِّجَالاً وَنِسَاء فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [النساء : ١٧٦] .

ومختصر ما أفادته الآية الكريمة :

باب السنة

بقلم الرئيس العام
محمد صفوت نور الدين

١- إذا كان للوارث أبناء وزوج وأبوان أعطيت الزوجةَ الثُمن ، أمَّا الزوج فيُعطى الربع ، والأبوان كل واحد منهما السدس ، والباقي للأبناء ؛ للذكر مثل حظ الأنثيين ، فإن كان الولد ذكرًا واحدًا فله بقيةَ التركةَ بعد الوالدين والزوج ، وإن كانت أنثى واحدةً فلها النصف ، وإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان .

٢- إذا لم يكن مع الأبوين أبناء فللأم الثلث ، وللأب الباقي ، وإذا وجد إخوة كان للأم السدس ، وللأب الباقي ، وليس للإخوة شيء .

٣- للزوج نصف ميراث زوجته إن لم يكن لها ولد ، والربع إن كان لها ولد ، وهي ترث الربع إن لم يكن لزوجها المتوفى ولد ، والثمن إن كان له ولد .

٤- الإخوة لأم : إن كان أخًا أو أختًا فقط فلكل واحد منهما السدس ، وإن كانوا أكثر من ذلك فلهم الثلث يقتسمونه بالسوية ؛ للذكر مثل الأنثى .

٥- الإخوة الأشقاء أو الإخوة لأب يرث الأخ أخته ، وهي ترث نصف تركته ، وللأختين الثلثان ، فإن كانوا ذكورًا أو إناثًا كان للذكر مثل حظ الأنثيين .

فاللَّه سبحانه فرض للرجال وفرض للنساء ولكل نصيب ، وإن اختلفا غالبًا في مقدار المفروض ، إلا أنهما يتساويان في استحقاق كل منهما لنصيبه ، فلا يجوز حرمان من أعطاه اللَّه تعالى ولا إعطاء من حرمه اللَّه سبحانه ؛ لأن اللَّه هو رب المال ، ورب الخلق ، ومُقَدِّر الكسب ، ونحن عباده ، وهو سبحانه القائل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِينًا ﴾ [الأحزاب : ٣٦] .

والمستحقون للميراث على قسمين أساسيين ؛ أصحاب فروض وأكثرهم من النساء وعصبات ، والعصبات هم الذين يستوعبون بقية التركة بعد أخذ أصحاب الفروض لفروضهم ، ولا تكون المرأة عصبة بنفسها ، إنما يكون عصبة بنفسه الذكور من الأصوال أو الفروع (أو فروع الفروع أو أصول الأصول أو فروع الأصول(١)) ، (بحيث

---

(١) الفروع : هم الأبناء ، وفروع الفروع : أبناء الأبناء ، والأصول : هم الآباء ، وأصول الأصول : الأجداد ، وفروع الأصول : هم الأخوة ، وفروع الأصول الأصول : هم الأعمام . وهكذا .

يدلي كل واحد منهم إلى الميت بالذكور لا بالإناث) .

أما المرأة فتكون عصبة بغيرها ، وهي كل أنثى كان فرضها النصف إذا انفردت ، والثلثان إذا كان معها أخرى أو أكثر ، هذه الأنثى أو الإناث إذا وجد معهن ذكر من درجتهن صار الجميع عصبة ، لهم بقية المال – بعد أصحاب الفروض – ويقتسمونه ؛ للذكر مثل حظ الأنثيين .

وتكون المرأة عصبة مع امرأة أخرى في حالتين : الأخت الشقيقة ، أو الأخوات الشقيقات ، أو الأخت لأب ، أو الأخوات لأب مع البنت ، أو بنت الابن .

والوارثات من النساء ثمانية : الأم ، والجدة ، والزوجة ، والبنت ، وبنت الابن ، والأخت الشقيقة ، والأخت لأب ، والأخت لأم .

الأم : وترث الثلث مما تركه ولدها المتوفى إن لم يكن له ولد ولا إخوة . ونصيبها السدس إن كان له ولد (ذكرًا كان أو أنثى) أو إخوة .

الجدة : وهي أم الأم أو أم الأب ، ونصيبها السدس إن لم تكن محجوبة بالأم ، وإن وجدت أكثر من جدة اشتركن في السدس .

الزوجة : ولها ربع ما ترك زوجها إن لم يكن له ولد ، فإن كان له ولد فلها الثمن ، فإن كانت أكثر من زوجة ، فهن شريكات في ذلك النصيب ، وترث المطلقة إن مات زوجها في عدتها ، وتستأنف عدة الوفاة .

البنت : إن كانت مع ذكر فللذكر مثل حظ الأنثيين ، وإن كانت واحدة فلها النصف ، وإن كانتا اثنتين أو أكثر فلهن الثلثان .

بنت الابن : لها النصف إن كانت واحدة ، والثلثان إن كانتا اثنتين فأكثر ، وذلك عند غياب الولد الذكر الصُّلبي ، ولها السدس مع البنت الصُّلبية تكملة للثلثين .

الأخت الشقيقة : لها النصف إن كانت واحدة ، والثلثان إن كانتا اثنتين فأكثر ، فإن كان لها أخ صارت عصبة به ، فإن كان للميت إناث فقط صارت الأخت والأخوات معهن عصبة ، وتحجب بالفرع الوارث المذكر .

الأخت لأب : لها النصف إذا انفردت ، والثلثان إن كن اثنتين فأكثر ، فإن كان للميت أخت شقيقة كانت الأخت لأب أو الأخوات لأب لهن السدس تكملة للثلثين .

الأخت لأم : هي مثل الأخ للأم وتساويه في النصيب ، فلا ترث إلا إذا كان الميت كلالة ؛ أي لا ولد له ولا والد ، ونصيبها السدس إذا كانت واحدة ، أو الثلث إذا وجد أكثر من أخ أو أخت لأم يقسم بينهم بالتساوي .

ثالثًا : الصداق :

الصداق : هو العوض المستحق في عقدة النكاح ، وله في الشرع ستة أسماء ؛ ثلاثة في القرآن : الصداق ، الأجر ، الفريضة ، وفي السنة : المهر ، والعلائق ، وفي الأثر : العقور ، واتفق الفقهاء على أنه لا حد لأكثره ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا ﴾ [النساء : ٢٠] .

ولقد تزوج عمر بن الخطاب أم كلثوم بنت علي وأصدقها أربعين ألف درهم ، وتزوج طلحة بن عبد اللَّه أم كلثوم بنت أبي بكر وأصدقها مائة ألف درهم ، وتزوج مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة وأصدقها مائة ألف درهم ، وتزوجها بعده عمر بن عبيد اللَّه بن معمر التيمي وأصدقها مائة ألف درهم ، وتزوج مصعب بن الزبير سكينة بنت الحسين وأصدقها ألف ألف درهم .

الصداق وصحة العقد :

قال الشافعي ، رحمه اللَّه : ذكر اللَّه الصداق والأجر في كتابه وهو المهر ، قال اللَّه تعالى : ﴿ لاَّ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاء مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [البقرة : ٢٣٦] ، فدل أن عقدة النكاح قول باللسان ، وأن ترك

الصداق لا يفسده .

فإن عقد على امرأة بغير أن يسمي صداقًا صح العقد ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ ﴾ [البقرة : ٢٣٦] .

والمهر معتبر بما تراضى عليه الزوجان من قليل أو كثير ، سواء كان أكثر من مهر المثل أو أقل ، فإن كانت صغيرة وزوجها أبوها لم يجز أن يزوجها بأقل من مهر المثل ، وخير المهر أوسطه ، وأن يقتدي برسول الله ﷺ .

وأما أقل الصداق فاختلف فيه ، فلم يقدره الشافعي ، وقال مالك : أقله ما تقطع فيه اليد ، أما أبو حنيفة فقال : أقله دينار أو عشرة دراهم .

الصداق حق للزوجة :

فقوله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء : ٣] ، وهو خطاب للأزواج وللأولياء ؛ لأنهم في الجاهلية كانوا يملكون الولي الصداق دون الزوجة ، وقوله : ﴿ نِحْلَةً ﴾ أن يطيب به نفسًا ، وأن يعلم أنه دين رب العالمين .

وقوله : ﴿ فَإِن طِبْنَ لَكُمْ عَن شَيْءٍ مِّنْهُ نَفْسًا ﴾ [النساء : ٣] دال على أن حق التصرف في الصداق للزوجات ، و ﴿ لكم ﴾ يعني الأزواج أو الأولياء ، ﴿ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَّرِيئًا ﴾ [النساء : ٣] يعني لذيذًا نافعًا .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا ﴾ [النساء : ١٩] ، فلا يحل استرجاع شيء من الصداق وإن كان كثيرًا ، إذا استبدل بها فتزوج غيرها ، فكان الأولى أن لا يسترجعه إذا لم يستبدل .

وقوله تعالى : ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴾ [النساء : ٢٠، ٢١] ، ذكر ذلك سبحانه وعيدًا على استرجاع شيء من المهر ، وتعليلاً لتحريم الاسترجاع بالخلوة والجماع .

وقال تعالى : ﴿ فَمَا اسْتَمْتَعْتُم بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٢٤] ؛ أي عوضًا عن الاستمتاع مهرًا واجبًا أوجبه الله تعالى .

الصداق إذا لم يحدد :

الآية الكريمة أثبتت النكاح مع ترك الصداق ، وجوزت فيه الطلاق ، وحكم لها بالمتعة .

وقد أخرج أبو داود عن عبد الله بن عتبة بن مسعود : أن عبد الله بن مسعود سئل عن رجل تزوج امرأة فمات عنها ، ولم يدخل بها ، ولم يفرض لها الصداق ، قال : فاختلفوا إليه شهرًا ، أو قال : مرات . قال : فإني أقول فيها : إن لها صداقًا كصداق نسائها لا وكس ولا شطط ، وإن لها الميراث وعليها العدة ، فإن يك صوابًا فمن الله ، وإن يكن خطأ فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان ، فقام ناس من أشجع فيهم الجراح وأبو سنان فقالوا : يا ابن مسعود ، نحن نشهد : إن رسول الله ﷺ قضاها فينا في بروع بنت واشق وزوجها هلال بن مرة الأشجعي كما قضيت قال : ففرح عبد الله بن مسعود فرحًا شديدًا حين وافق قضاؤه قضاء رسول الله ﷺ . رواه أبو داود برقم (٢١١٦) ، وقال الألباني : صحيح .

وعن عقبة بن عامر : أن النبي ﷺ قال لرجل : « أترضى أن أزوجك فلانة ؟ » . قال : نعم ، وقال للمرأة : « أترضين أن أزوجك فلانًا ؟ » قالت : نعم ، فزوج أحدهما صاحبه ، فدخل بها الرجل ولم يفرض لها صداقًا ولم يعطها شيئًا ، وكان ممن شهد الحديبية ، وكان من شهد الحديبية له سهم بخيبر ، فلما حضرته الوفاة قال : إن رسول الله ﷺ زوجني فلانة ولم أفرض لها صداقًا ولم أعطها شيئًا ، وإني أشهدكم أني أعطيتها من صداقها سهمي بخيبر ، فأخذت سهمًا

فباعته بمائة ألف . (والحديث رواه أصحاب السنن الأربعة ، وقال الألباني : صحيح) .

وعلى ذلك فكل ما تعلق بالمهر لا يؤثر في صحة النكاح قياسًا على تركه ، ولها مهر المثل إذا لم يحدد لها مهر أو وقع خلاف حول المهر المسمى .

قال تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ . وقال : ﴿ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ [النساء : ٤، ٥] .

والخلاصة : فالصداق عطاء تحصل عليه المرأة ليس في مقابل الاستمتاع وابتغاء اللذة فقط ؛ لأن ذلك واقع لها وله معًا ، وقد يكون شوق أحدهما له أكثر من الآخر ولذته أكثر ؛ لذا كان المهر نحلة بلا عوض .

تيسير الصداق :

جاء في « الموسوعة الفقهية » : المهر هو المال الذي تستحقه الزوجة على زوجها بالعقد عليها أو بالدخول بها ، وهو حق واجب للمرأة على الرجل عطية من الله تعالى ، مبتدأة ، أو هدية أوجبها على الرجل بقوله تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ إظهارًا لخطر هذا العقد ومكانته وإعزازًا للمرأة وإكرامًا لها .

والمهر ليس شرطًا في عقد الزواج ، ولا ركنًا عند جمهور الفقهاء ، وإنما هو أثر من آثاره المترتبة عليه ، فإذا تم العقد بدون ذكر مهر صح عند الجمهور ؛ لقوله تعالى : ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً ﴾ ، فإباحة الطلاق قبل المسيس وقبل فرض صداق يدل على جواز عدم تسمية المهر في العقد ، ولكن يستحب أن لا يعرِي النكاح عن تسمية الصداق ؛ لأن النبي ﷺ كان يزوج بناته وغيرهن ، ولم يكن يخلي النكاح من صداق .

وأخرج البخاري عن سهل بن سعد أن النبي ﷺ قال لرجل : « تزوج ولو بخاتم من حديد » .

في هذا الحديث دليل على أن أقل الصداق لا تقدير له ؛ لأنه قال له في رواية : « التمس شيئًا » . ثم قال : « التمس ولو خاتمًا من حديد » .

وأخرج أحمد و« أصحاب السنن » بسند صحيح عن عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، قال : ألا لا تغلوا صُدُق النساء ، ألا لا تغلوا صدق النساء ، فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند الله كان أولاكم بها النبي ﷺ . ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه ولا أُصدقت امرأة من بناته أكثر من ثنتي عشرة أوقية ، وإن الرجل ليبتلي بصدقة امرأته . وقال مرة : إن الرجل ليغلي بصدقة امرأته حتى تكون لها عداوة في نفسه ، وحتى يقول : كلفت إليك علق القربة .

قال الزمخشري في « الفائق » : جشمت إليك عرق القربة أو علق القربة : هذا مثل تضربه العرب في الشدة والتعب .

قال البغوي : إذا رضيت المرأة البالغة بأن تزوج بلا مهر فزوجت ، فلا مهر لها بالعقد . وللمرأة مطالبته بعد ذلك بالفرض ، فإن فرض لها شيئًا فهو كالمسمى في العقد ، وإن دخل بها قبل الفرض فلها مهر مثل نساء عصبتها من أختها وعمتها وبنات أخيها وبنات عمها ، دون أمها وخالاتها ؛ لأن نسب أمها وخالاتها لا يرجع إلى نسبها . « شرح السنة » (٩/١٢٤) .

ويندب أن يقدم من الصداق شيء قبل الدخول ، إن لم يستطع تقديمه كله .

وفي قول النبي ﷺ : « التمس ولو خاتمًا من حديد » يحتمل أن يكون هو الصداق ، أو أنه المقدم منه ، ذلك أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كان صداقها أربعمائة درهم من فضة ، حيث إن عليًا رضي الله عنه لما أراد أن يتزوجها منعه النبي ﷺ حتى يعطيها شيئًا ، فقال : يا رسول الله ، ليس معي شيء ، فقال : « أعطها درعك » . فأعطاها درعه ، ثم دخل بها .

وفي قوله ﷺ : « أنكحتك إياها على ما معك من القرآن » . يحتمل بمعنى سبب الإنكاح القرآن ، وليس هو الصداق ، ويبقى لها مهر المثل دينًا ، ولا ينبغي أن يتصور أنها وهبت له صداقها ؛ لأن هبة الصداق لا تصح قبل العقد بالاتفاق ، ولا خلاف في جواز الهبة بعده .

قال ابن حجر في « الفتح » (حديث ٥١٤٩، ج٩، ص١١٩) : وقد وردت أحاديث في أقل الصداق لا يثبت منها شيء ، منها عند ابن أبي شيبة من طريق لبيبة رفعه : « من استحل بدرهم في النكاح فقد استحل » .

ومنها عند أبي داود عن جابر رفعه : « من أعطى في صداق امرأة سويقًا أو تمرًا ، فقد استحل » .

وعند الترمذي من حديث عامر بن ربيعة أن النبي ﷺ أجاز نكاح المرأة على نعلين .

وعند الدارقطني من حديث أبي سعيد في أثناء حديث المهر : « ولو على سواك من أراك » .

وأقوى شيء ورد في ذلك حديث جابر عند مسلم : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول اللّٰه ﷺ ، حتى نهى عنها عمر . قال البيهقي : إنما نهى عمر عن النكاح لأجل لا عن قدر الصداق . وهو كما قال . وفيه دليل للجمهور ؛ لجواز النكاح بالخاتم الحديد ، وما هو نظير قيمته .

قال ابن العربي من المالكية كما تقدم : لا شك أن الخاتم من الحديد لا يساوي ربع دينار ، وهذا لا جواب عنه لأحد ولا عذر .

التغالي في المهور :

قال شيخ الإسلام : وما يفعله بعض أهل الجفاء والخيلاء والرياء من تكثير المهر للرياء والفخر ، وهم لا يقصدون أخذه من الزوج ، وهو ينوي أن لا يعطيهم إياه ، فهذا منكر قبيح مخالف للسنة ، خارج عن الشريعة .

وإن قصد الزوج أن يؤديه - وهو في الغالب لا يطيقه - فقد حمّل نفسه وشغل ذمته وتعرض لنقص حسناته وارتهانه بالدين ، وأهل المرأة قد آذوا صهرهم ، وأوقعوا الضرر به .

والمستحب في الصداق مع القدرة واليسار : أن يكون جميع عاجله وآجله لا يزيد على مهر أزواج النبي ﷺ ولا بناته ، وكان ما بين أربعمائة إلى خمسمائة بالدراهم الخالصة نحو تسعة عشر دينارًا .

فهذه سنة رسول اللّٰه ﷺ ، من فعل ذلك فقد استن بسنة رسول اللّٰه ﷺ في الصداق .

قال أبو هريرة ، رضي الله عنه : كان صَداقنا إذْ كان فينا رسولُ اللّٰه ﷺ عشر أواقٍ ، وطَبَّق بيَدَيهِ ، وذلك أربعمائة درهم . رواه الإمام أحمد في « مسنده » ، وهذا لفظ أبي داود في « سننه » .

وقال أبو سلمة : قلت لعائشة : كم كان صداق رسول اللّٰه ﷺ ؟ قالت : كان صداقه لأزواجه ثنتي عشرة أوقية ونشًا ، قالت : أتدري ما النش ؟ قلت : لا . قالت : نصف أوقية ، فذلك خمسمائة درهم . رواه مسلم في « صحيحه » . اهـ .

فالسنة عدم التغالي في المهور ، بل إن خيره وأيسره وأفضله ما وافق صداق النبي ﷺ وبناته الأطهار ، ذلك إن كان قادرًا غنيًا ، فإن كان فقيرًا فالأولى أن يكون أقل من ذلك .

المعجل والمؤجل :

قال شيخ الإسلام : والأولى تعجيل الصداق كله للمرأة قبل الدخول إذا أمكن ، فإن قدم البعض وأخر البعض فهو جائز . اهـ .

والصداق قد يكتب في العقد المعجل منه والمؤجل ، وقد يكتب كله جملة ، ثم يكتب ما عجل منه ويصبح الباقي دينًا عليه تطلبه منه ، ويجب عليه الوفاء لها به ، فإن كتب الأجل الذي يؤدى فيه الصداق وجب الوفاء عنده ، إلا أن يتم التسامح والعفو بينهما ، فإن لم يكتب الأجل فللزوجة طلبه متى أرادت ، إلا أن يكون العرف قد جرى بغير ذلك ؛ كأن يكون استحقاقه بأحد الأجلين (الموت ، أو الطلاق) ، فإن كان الأمر كذلك صار حالًا بالطلاق إذا طلقها ، أو دينًا عليه بعد موته يؤخذ من ميراثه قبل تقسيم التركة على الورثة . واللّٰه أعلم .

هذا ، وللحديث بقية إن شاء اللّٰه .

حكمة تحديد مدة الرضاعة

بحولين كاملين !!

من منظور علمي

بقلم أ . د / مجاهد محمد أبو المجد

أستاذ الأمراض الباطنية والسكر بكلية طب المنصورة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول تعالى : ﴿ والْوالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلا مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] .

أقوال المفسرين :

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية : إنها إرشاد من الله تعالى للوالدات أن يرضعن أولادهن كمال الرضاعة ، وهي سنتان ، فلا اعتبار بالرضاعة بعد ذلك .

وذهب أكثر الأئمة إلى أنه لا يحرم من الرضاعة إلا ما كان دون الحولين ، فلو ارتضع المولود وعمره فوقهما فلا يحرم . قال الترمذي باب (ما جاء أن الرضاعة لا تحرم إلا في الصغر دون الحولين) : عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : ((لا يحرم من الرضاعة إلا ما فتق الأمعاء في الثدي وكان قبل الفطام)) .

والعمل على هذا عند أكثر أهل العلم من أصحاب رسول الله ﷺ وغيرهم ، أن الرضاعة لا تحرم إلا ما كان دون الحولين الكاملين ، وما كان بعد الحولين الكاملين ، فإنه لا يحرم شيء ، ومعنى قوله : ((إلا ما كان في الثدي)) ؛ أي في مجال الرضاعة قبل الحولين ، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم : ((وإن إبراهيم ابني ، وإنه مات في الثدي ، وإن له ظئرين تكملان رضاعه في الجنة)) . وفي رواية البخاري : ((إن له مرضعًا في الجنة))

وقال ﷺ ذلك ؛ لأن ابنه إبراهيم مات وله سنة وعشرة أشهر . فقال : ((إن له مرضعًا)) يعني : تكمل رضاعته .

والقول بأن الرضاعة لا تحرم بعد الحولين يروى عن : علي ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وجابر ، وأبي هريرة ، وابن عمر ، وابن سلمة ، وسعيد بن المسيب ، وعطاء ، والجمهور .

ويقول القرطبي : قوله تعالى : ﴿ حولين ﴾ ؛ أي سنتين كاملتين قيد بالكمال ؛ لأن القائل قد يقول : أقمت عند فلان حولين ، وهو يريد حولاً وبعض حول آخر ، استنبط مالك - رحمة الله تعالى عليه - ومن تابعه وجماعة من العلماء من هذه الآية أن الرضاعة المحرمة الجارية مجرى النسب إنما هي ما كان في الحولين ؛ لأنه

بانقضاء الحولين تمت الرضاعة ، ولا رضاعة بعد الحولين معتبرة ، هذا قوله في موطنه .

وروى شعبة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا رضاعة إلا ما كان في الحولين)) . قال الدارقطني : لم يسنده عن ابن عيينة غير الهيثم بن جميل ، وهو ثقة حافظ .

ويقول الرازي في ((تفسيره)) : المقصود بتحديد حولين هو أن للرضاعة حكمًا خاصًا في الشريعة ، وهو قوله ﷺ : ((يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب)) .

ويقول الشوكاني في ((تفسيره)) : ﴿ لمنْ أراد أن يُتمّ الرّضاعة ﴾ أي : ذلك لمن أراد أن يتم الرضاعة ، وفيه دليل على أن إرضاع الحولين ليس حتمًا ، بل هو التمام ، ويجوز الاقتصار على ما دونه .

إذا علمنا أن مدة الرضاعة المعتبرة شرعًا هي ما كان في الحولين ، فهل لذلك من حكمة أو علة طبية ؟

ذكر كتاب ((نلسون)) - وهو أحد المراجع المشهورة في طب الأطفال - في طبعته عام ١٩٩٤ م : أن الأبحاث الحديثة أظهرت وجود علاقة ارتباطية قوية بين عدد ومدة الرضاعة من ثدي الأم وبين ظهور مرض السكري من النوع الأول في عدد من الدراسات على الأطفال في كل من النرويج والسويد والدانمرك ، وعلل الباحثون ذلك بأن لبن الأم يمد الطفل بحماية ضد عوامل بيئية تؤدي إلى تدمير خلايا بيتا البنكرياسية في الأطفال الذين لديهم استعداد وراثي لذلك ، وأن مكونات الألبان الصناعية وأطعمة الرضع تحتوي على مواد كيميائية سامة لخلايا بيتا البنكرياسية ، وأن ألبان البقر تحتوي على بروتينات يمكن أن تكون ضارة لهذه الخلايا ، كما لوحظ أيضًا في بعض البلدان الأخرى أن مدة الرضاعة من الثدي تتناسب عكسيًا مع حدوث مرض السكري ؛ لذلك ينصح الباحثون الآن بإطالة مدة الرضاعة من ثدي الأم للوقاية من هذا المرض الخطير ، وللحفاظ على صحة الأطفال في المستقبل ، وبناءً على هذه الحقائق برزت في السنوات الأخيرة نظرية مفادها أن بروتين لبن البقر يمكن أن يحدث تفاعلًا حيويًا مناعيًا يؤدي إلى تحطيم خلايا بيتا البنكرياسية التي تفرز الأنسولين ، ويعضد هذه النظرية وجود أجسام مضادة بنسب مرتفعة لبروتين لبن البقر في مصل الأطفال المصابين بداء السكري بالمقارنة مع الأطفال غير المصابين بالمرض كمجموعة مقارنة .

وفي دراسة حديثة منشورة في مجلة السكري في يناير ١٩٩٨ م استخلص الباحثون أن البروتين الموجود في لبن الأبقار يعتبر عاملاً مستقلاً في إصابة بعض الأطفال بمرض السكري بغض النظر عن الاستعداد الوراثي .

وفي دراسة حديثة منشورة في فبراير ١٩٩٨ م في جريدة ((المناعة)) أشار المؤلفون إلى أن تناول لبن الأبقار وبعض الألبان الصناعية كبديل للبن الأم يؤدي إلى زيادة نسبة الإصابة بمرض السكري في هؤلاء الأطفال . وقد أجريت هذه الدراسة على أطفال صغار السن حتى الشهر التاسع من العمر ، ولهذا نصح المؤلفون بإطالة مدة الرضاعة الطبيعية .

وفي دراسة مشابهة منشورة في مجلة ((السكري)) في يناير عام ١٩٩٤ م أوضح الباحثون وجود ارتباط قوي بين تناول منتجات الألبان الصناعية (خاصة لبن الأبقار) في السن المبكرة حتى العام الأول من العمر وازدياد نسبة الإصابة بمرض السكري .

وفي دراسة أجريت بقسم الباطنية سنة ١٩٩٥ م تحت إشرافي وجدنا أن الأجسام المناعية المضادة للبن الأبقار وجدت في مصل الأطفال الذين تناولوا لبن الأبقار حتى نهاية العام الثاني ، أما الأطفال الذين تناولوا لبن الأبقار بعد عامين من العمر فلم يتضح فيهم وجود هذه الأجسام المناعية ، مما يظهر جليًا حكمة القرآن الكريم للرضاعة بعامين كاملين .

لكن لماذا يسبب لبن الأبقار هذا الضرر قبل العام الثاني ، بينما يزول الأثر السيئ للبن الأبقار بعد هذه المدة ؟

في دراسة أجريت بفنلندا عام ١٩٩٤ م منشورة في مجلة ((المناعة الذاتية)) .

يقول المؤلفون : إن بروتين لبن الأبقار يمر بحالته الطبيعية من الغشاء المبطن للجهاز الهضمي نتيجة عدم اكتمال نمو هذا الغشاء من خلال ممرات موجودة فيه ، حيث إن إنزيمات الجهاز الهضمي لا تستطيع تكسير البروتين إلى أحماض أمينية ، ولذلك يدخل بروتين لبن الأبقار كبروتين مركب ، مما يحفز على تكوين أجسام مناعية داخل جسم الطفل .

وتشير المراجع الحديثة إلى أن الإنزيمات والغشاء المبطن للجهاز الهضمي وحركية هذا الجهاز وديناميكية الهضم والامتصاص لا يكتمل عملها بصورة طبيعية في

الأشهر الأولى بعد الولادة ، وتكتمل تدريجيًا حتى نهاية العام الثاني .

ومجموع هذه الأبحاث يشير إلى أنه كلما اقتربت مدة الرضاعة الطبيعية من عامين كلما قل تركيز الأجسام المناعية الضارة بخلايا بيتا البنكرياسية التي تفرز الأنسولين ، وكلما بدأت الرضاعة البديلة ، وخاصة بلبن الأبقار في فترة مبكرة بعد الولادة كلما ازداد تركيز الأجسام المناعية الضارة في مصل الأطفال .

وفي إشارة علمية دقيقة أخرى للقرآن الكريم نراه يحدد مدة الرضاعة بما يقرب من الحولين ، كما جاء في الآية رقم (١٤) في سورة « لقمان » : ﴿ ووَصَّيْنَا الإنسَانَ بوالِدَيْه حملَتْهُ أُمُّهُ وهْنًا علَى وهْنٍ وفِصالُهُ في عامَين ﴾ ، والآية (١٥) في سورة « الأحقاف » : ﴿ حملَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا ووضعته كُرْهًا وحَمْلُهُ وفِصالُهُ ثلاثُون شهْرًا ﴾ ، ويُفهم من هذا أن إرضاع الحولين ليس حتمًا ، بل هو التمام ، ويجوز الاقتصار على ما دونه ، كما أشارت الأحكام الإسلامية الخاصة بالرضاعة إلى ذلك ، اعتمادًا على قوله تعالى : ﴿ فَإنْ أرادَا فِصَالاً عَن تَراضٍ مِّنْهُمَا وتَشَاوُرٍ فلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ... ﴾ الآية [البقرة : ٢٣٣] .

يقول ابن كثير ، رحمه اللَّه : أي فإن اتفق والدا الطفل على فطامه قبل الحولين ، ورأيا في ذلك مصلحة له وتشاورا في ذلك وأجمعا عليه ، فلا جناح عليهما في ذلك ، فيؤخذ منه أن انفراد أحدهما بذلك دون الآخر لا يكفي ، ولا يجوز لواحد منهما أن يستبد بذلك من غير مشاورة الآخر . قاله الثوري وغيره .

وهذا فيه احتياط للطفل والتزام للنظر في أمره ، وهو من رحمة اللَّه بعباده ، حيث حجر على الوالدين في تربية طفلهما ، وأرشدهما إلى ما يصلحهما ويصلحه .

وهكذا يتضح جليًا حكمة تحديد الرضاعة بحولين كاملين في إشارة علمية دقيقة من القرآن الكريم ، وجاءت الأبحاث العلمية الحديثة لتؤكد ولتبرهن على صدق وإعجاز ما أخبر به القرآن الكريم ، منذ أكثر من ألف وأربعمائة عام . قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [فصلت : ٥٣]

* * *

بر الوالدين

الحمد للَّه ، والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .. وبعد :

فلقد جسَّم لنا الشرع الحنيف ، كيف يكون بر الوالدين في حياتهما ، وبعد مماتهما ، ليكون كل منا بارًا بوالديه طول عمره .

وفي هذا العصر ، وربما تعطش كثير من الآباء لبر أبنائه له في حياته ، فهو عملة نادرة وغير متداولة في أيامنا تلك ، لا يكاد يعرفها إلا من رحم ربي .

فما بالكم ببر الوالدين بعد موتهما ، فهو بلا شك أندر وأندر ، بالرغم من شدة حاجة الآباء إليه في قبورهم .

فكيف يكون بر الآباء بعد مماتهم ؟

✿ صلة الرجل أهل ودِّ أبيه بعد أن يولى :

روى مسلم وأبو داود والترمذي والبخاري في « الأدب المفرد » ، وأحمد عن ابن عمر ، رضي اللَّه عنهما ، أنه كان إذا خرج إلى مكة كان له حمار يتروح عليه إذا ملَّ ركوب الراحلة وعمامة يشدُّ بها رأسه ، فبينما هو يومًا على ذلك الحمار إذ مر به أعرابيّ ، فقال : ألست ابن فلان ؟ قال : بلى ، فأعطاه الحمار ،

بعد موتهما

بقلم مدير التحرير/ محمود غريب الشربيني

فقال : اركب هذا ، والعمامة ، وقال : اشدد بها رأسك ، فقال له بعض أصحابه : غفر اللّه لك ، أعطيت هذا الأعرابي حمارًا كنت تروّح عليه ، وعمامة كنت تشدُّ بها رأسك ، فقال : إني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « إن من أبر البر : صلة الرجل أهل ودّ أبيه أن يولّى » . وإن أباه كان ودًا لعمر .

وروى ابن حبان وأبو يعلى عن أبي بردة قال : قدمت المدينة ، فأتاني عبد اللّه بن عمر ، فقال : أتدري لِمَ أتيتك ؟ قال : قلت : لا . قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « من أحبَّ أن يصل أباه في قبره ، فليصل إخوان أبيه بعدهُ » . وإنه كان بين أبي عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذاك . صححه الشيخ الألباني .

وروى أبو داود وابن ماجه والحاكم ، وقال : صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه . وقال الذهبي : صحيح عن مالك بن ربيعة الساعدي ، رضي اللّه عنه ، قال : بينما نحن جلوس عند رسول اللّه ﷺ ، إذ جاءه رجل من بني سلمة ، فقال : يا رسول اللّه ، هل بقي من بر أبوي شيء أبرهما بعد موتهما ؟ فقال : « نعم ، الصلاة عليهما ، والاستغفار لهما ، وانفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما » . ضعفه الشيخ الألباني .

وكل فقرة من هذا الحديث نجد ما يدل عليها في الأحاديث الأخرى الصحيحة .

✿ تنفيذ وصيتهما :

روى النسائي عن الشريد بن سويد الثقفي قال : أتيت رسول اللّه ﷺ ، فقلت : إن أمي أوصت أن تُعتق عنها رقبة ، وإن عندي جارية نوبية ، أفيجزئ عني أن أعتقها عنها ؟ قال : « ائتني بها » . فأتيته بها ، فقال لها النبي ﷺ : « من ربّك ؟ » قالت : اللّه . قال : « من أنا ؟ » قالت : أنت رسول اللّه . قال : « فأعتقها فإنها مؤمنة » .

وروى البخاري برقم (٣١٢٩) عن عبد اللّه بن الزبير ، رضي اللّه عنهما ، قال : لما وقف الزبير يوم الجمل دعاني ، فقمت إلى جنبه . فقال : يا بني ، إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وإني لا أراني إلا سأقتل مظلومًا ، وإن من كبير همي لديني ، أفترى ديننا يُبقي عن مالنا شيئًا ؟ ثم قال : يا بني ، بعْ مالنا واقض ديني ، وأوصى بالثلث ، وثلثه لبنيه - يعني عبد اللّه بن الزبير - يقول : ثلث الثلث ، فإن فضل شيء من مالنا بعد قضاء الدين فثلثه لولديك ، قال عبد اللّه بن الزبير : فجعل يوصيني بدينه ، ويقول : يا بني ، إن عجزت عن شيء منه فاستعن بمولاي . قال : فواللّه ما دريت ما أراد ، حتى قلت : يا أبت ، من مولاك ؟ قال : اللّه ، قال : فواللّه ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت : يا مولى الزبير ، اقض عنه دينه ، قال : فقتل الزبير ولم يدع دينارًا أو درهمًا إلا أرضين منها الغابة ، وإحدى عشرة دارًا بالمدينة ، ودارين بالبصرة ، ودارًا بالكوفة ، ودارًا بمصر ، قال : وإنما كان دينه الذي كان عليه أن الرجل كان يأتيه بالمال فيستودعه إياه ، فيقول الزبير : لا ، ولكن هو سلف ، فإني أخشى عليه الضيعة ، وما ولي إمارة قط ولا جباية ولا خراجًا ولا شيئًا إلا أن يكون في غزوة مع رسول اللّه ﷺ ، أو مع أبي بكر وعمر وعثمان ، قال عبد اللّه بن الزبير : فحسبت ما كان من الدين فوجدته ألفي ألف ومائتي ألف ، قال : فلقي حكيم بن حزام عبد اللّه بن الزبير ، فقال : يا ابن أخي ، كم على أخي من الدين ؟ قال : فكتمته ، وقلت : مائة ألف ، فقال حكيم : واللّه ما أرى أموالكم تسع

هذه ، قال : فقال عبد الله : أرأيتك إن كانت ألفي ألف ؟ قال : ما أراكم تطيقون هذا ، فإن عجزتم عن شيء عنه فاستعينوا بي ، وكان الزبير قد اشترى الغابة بسبعين ومائة ألف ، فباعها عبد الله بألف ألف وستمائة ألف ، ثم قام فقال : من كان له على الزبير شيء فليوافنا بالغابة ، فأتاه عبد الله بن جعفر ، وكان له على الزبير أربعمائة ألف ، فقال لعبد الله : إن شئتم تركتها لكم ، قال عبد الله : لا ، قال : فإن شئتم جعلتموها فيما تؤخرون إن أخرتم ، فقال عبد الله : لا ، قال : فاقطعوا لي قطعة ، فقال عبد الله : لك من هاهنا إلى هاهنا ، قال : فباع عبد الله منها فقضى دينه وأوفاه ، وبقي منها أربعة أسهم ونصف ، قال : فقدم على معاوية وعنده عمرو بن عثمان والمنذر بن الزبير وابن زمعة ، قال : فقال معاوية : كم قُوْمت الغابة ؟ قال : كل سهم بمائة ألف ، قال : كم بقي منها ؟ قال : أربعة أسهم ونصف ، فقال المنذر بن الزبير : قد أخذت منها سهمًا بمائة ألف ، وقال عمرو بن عثمان : قد أخذت سهمًا بمائة ألف ، وقال ابن زمعة : قد أخذت سهمًا بمائة ألف ، فقال معاوية : كم بقي ؟ قال : سهم ونصف ، قال : قد أخذته بخمسين ومائة ألف ، قال : وباع عبد الله بن جعفر نصيبه من معاوية بستمائة ألف ، قال : فلما فرغ ابن الزبير من قضاء دينه ، قال بنو الزبير : اقسم بيننا ميراثنا ، قال : لا والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين ألا مَنْ كان له على الزبير دَينٌ فليأتنا فلنقضه ، قال : فجعل كل سنة ينادي في الموسم ، فلما مضى أربع سنين قسم بينهم ودفع الثلث ، قال : وكان للزبير أربع نسوة ، فأصاب كل امرأة ألفَ ألفٍ ومائتا ألف ، قال : فجميع ماله خمسون ألف ألف ومائتا ألف .

أرأيتم أو سمعتم ببر أفضل وأعظم من هذا الذي قدمه عبد الله بن الزبير لأبيه بعد موته ؟!

الدعاء لهما :

روى مسلم والبخاري في « الأدب المفرد » ، وأبو داود والنسائي عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : « إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة : إلا من صدقةٍ جارية ، أو علم يُنتفع به ، أو ولدٍ صالح يدعو له » .

وروى أحمد والطبراني في « الأوسط » بسند صحيح عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن الله ، عز وجل ، ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة ، فيقول : يا رب ، أنى لي هذه ؟ فيقول : باستغفار ولدك لك » .

زيارة قبريهما والدعاء لهما :

روى مسلم وأبو داود والنسائي أن رسول الله ﷺ قال : « إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور ، فزوروها ، فإنها تذكركم الآخرة ، ولْتَزِدْكُمْ زيارتها خيرًا ، فمن أراد أن يزور فليزرْ ، ولا تقولوا هجرًا » .

قال الإمام النووي ، رحمه الله : والهجر : الكلام الباطل . وقال الصنعاني في « سبل السلام » : الكل دال على مشروعية زيارة القبور وبيان الحكمة فيها ، وأنها للاعتبار ، فإذا خلت من هذه لم تكن مرادة شرعًا .

فإذا زرنا المقابر دعونا لهم :

روى مسلم والنسائي وابن ماجه أن رسول الله ﷺ كان إذا مر بالمقابر قال : « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين ، وإنا إن شاء الله بكم للاحقون ، أنتم لنا فرط ونحن لكم تبع ، أسأل الله لنا ولكم العافية » . وفي رواية أخرى قال : « السلام عليكم أهل دار قوم مؤمنين ، وإنا وإياكم وما توعدون غدًا مؤجلون ، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون ، اللهم اغفر لأهل هذه المقابر » .

وقد وردت النصوص الكثيرة والتي تدل على الدعاء للميت عند احتضاره وبعد موته قبل تجهيزه وعند دفنه وفي أثناء الصلاة عليه .

الصدقة عليهما :

وروى مسلم وابن ماجه عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، أن رجلاً قال للنبي ﷺ : إن أبي مات ،

وترك مالاً ، ولم يوص ، فهل يُكفِّر عنه أن أتصدق عنه ؟ قال : ((نعم)) .

وروى البخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه عن عائشة ، رضي الله عنها ، أن رجلاً قال لرسول الله ﷺ : إن أمي افتلتت نفسها ، وإنها لو تكلمت تصدقت ، أفأتصدق عنها ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((نعم)) . فتصدق عنها .

وروى البخاري ومسلم والنسائي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن رجلاً قال : يا رسول الله ، إن أمه توفيت ، أفينفعها إن تصدقت عنها ؟ قال : ((نعم)) . قال : فإن لي مخرفا - بستان من النخل - فأشهدك أني قد تصدقت به عنها .

والأحاديث في مسألة الصدقة كثيرة ، ولكن لنا أن نشير إلى أفضل الصدقة .

روى النسائي وابن ماجه وغيرهما عن سعد بن عبادة ، رضي الله عنه ، قال : قلت : يا رسول الله ، إن أمي ماتت ، أفأتصدق عنها ؟ قال : ((نعم)) . قلت : فأي الصدقة أفضل ؟ قال : ((سقي الماء)) . وفي رواية : فحفر بئرا ، وقال : هذه لأم سعد .

❁ قضاء ما عليهما من نذر :

روى الترمذي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أنه قال : استفتى سعد بن عبادة رسول الله ﷺ في نذر كان على أمه توفيت قبل أن تقضيه ، فقال رسول الله ﷺ : ((فاقضه عنها)) .

وروى البخاري والنسائي عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن امرأة جاءت إلى النبي ﷺ ، فقالت : إن أمي نذرت أن تحج ، فماتت قبل أن تحج ، أفأحج عنها ؟ قال : ((نعم ، حجي عنها ، أرأيت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟)) قالت : نعم . قال : ((فاقضوا الذي له ، إن الله أحق بالوفاء)) .

وروى البخاري ومسلم عن عائشة ، رضي الله عنها ، أن رسول الله ﷺ قال : ((من مات وعليه صيام صام عنه وليه)) .

وروى أبو داود والنسائي وأحمد عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن امرأة ركبت البحر ، فنذرت إن الله تبارك وتعالى أنجاها أن تصوم شهراً ، فأنجاها الله عز وجل ، فلم تصم حتى ماتت ، فجاءت قرابةٌ لها (إما أختها أو ابنتها) إلى النبي ﷺ ، فذكرت ذلك له . فقال : ((أرأيتك لو كان عليها دين كنت تقضينه ؟)) قالت : نعم . قال : ((فدين الله أحق أن يقضى)) .

❁ الحج عنهما :

روى مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي عن بريدة بن الحصيب ، رضي الله عنه ، قال : بينا أنا جالس عند رسول الله ﷺ ، إذ أتته امرأة قالت : إني تصدقت على أمي بجارية ، وإنها ماتت ، قال : فقال : ((وجب أجرك ، وردها عليك الميراث)) . قالت : يا رسول الله ، إنه كان عليها صوم شهر ، أفأصوم عنها ؟ قال : ((صومي عنها)) . قالت : إنها لم تحج قط ، أفأحج عنها ؟ قال : ((حجي عنها)) .

❁ ألا يكون سببا في سبهما :

روى البخاري ومسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((من الكبائر شتم الرجل والديه)) . قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ قال : ((نعم ، يَسُب أبا الرجل ، فيسب أباه ، ويسب أمه ، فيسب أمه)) .

وهكذا علمنا كيف نبر والدينا بعد موتهما ، تقبل الله مني ومنكم صالح الأعمال ، وجعلني وإياكم من البارين بآبائهم في حياتهم وبعد مماتهم .

وصلى الله على النبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

المسلمون في إفريقيا :

كينيا بين الإسلام .. والحملات التنصيرية

إعداد / جمال سعد حاتم - حمدي عبيد

تركيا
فلسطين
الأردن
الكويت
مصر
البحرين
الإمارات
السودان
جيبوتي
الصومال
كينيا
تنزانيا

- ☐ **تبلغ نسبة المسلمين في كينيا حوالي ٣٥٪ من تعداد السكان ، والباقي ينقسم ما بين النصارى والوثنيين .**
- ☐ **المخابرات الأمريكية حاولت تشويه صورة المسلمين بعد حادث تفجير السفارة الأمريكية ، والضغط على الحكومة الكينية لمحاربة الدعوة .**
- ☐ **أثبتت التحقيقات أن المخابرات الإسرائيلية والأمريكية كانت على علم بحادث تفجير السفارات .**
- ☐ **أهل السنة لهم دور مميز في مناهضة الفكر الشيعي من خلال الدروس والمحاضرات .**

إنه لمما يفري القلب مرارة وحزنًا ، ويقتل المرء غيظًا وكمدًا ، أن يسمع عن الأحوال المريرة التي يعيشها المسلمون في شتى بقاع الأرض .. ومن خلال صفحات مجلة التوحيد .. سوف نتوغل معكم إلى القارة السوداء لنتعرف على الأقليات الإسلامية والمسلمين في أفريقيا : كيف يعيشون .. وما هو الواقع المؤلم لحياتهم .. وكيف دخل الإسلام إليهم .. وما هي أبرز مشكلاتهم .. وأهم التحديات التي تعترض مسار الدعوة الإسلامية بينهم ، من خلال لقاءات مع بعض الشخصيات العامة والعاملة في مجال الدعوة .

تونس
المغرب
الجزائر
موريتانيا
مالي
نيجيريا

واليوم سوف يكون لنا لقاء مع أحد الشخصيات الدعوية في كينيا ؛ لنتعرف على المسلمين في كينيا وكيف يعيشون ، وعن الدور الصهيوني الإمبريالي الأمريكي في هذا البلد ، من خلال لقائنا مع الشيخ / أبي بكر عبده ، والمكنى « أبو حمزة » ، والذي يعمل نائبًا لرئيس الجمعية السلفية في كينيا :

■ س : في البداية نرجو من فضيلتكم تقديم بطاقة تعارف لقراء مجلة التوحيد :

☐ ج : كنيتي : « أبو حمزة » ، واسمي أبو بكر عبده أبو بكر الياسين .

تخرجت من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بكلية أصول الدين سنة ١٤٠٤هـ ، وبعدما تخرجت عملت مع إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية لمدة عشر سنوات ، وبعد ذلك قدمت استقالتي وتفرغت لأعمالي الدعوية المحلية مع أبناء بلدنا في كينيا ، وتنحصر أعمالنا في رفع مستوى الدعاة في بلدنا ، وتنسيق العمل للدعوة السلفية في شرق إفريقيا : في كينيا ، وأوغندا ، وتنزانيا .

■ س : نود من فضيلتكم إعطاءنا نبذة عن أحوال أخواننا المسلمين في كينيا ؟

☐ ج : كينيا بلد يقع في شرق إفريقيا ، تحدها الصومال شرقًا ، وإثيوبيا شمالاً ، وأوغندا غربًا ، وفي الجنوب تنزانيا ، وتعداد السكان بها حوالي ٣٥ مليون نسمة ، ودخل الإسلام في منطقة الجُزر في القرن الأول الهجري ، حسب تقدير الدكتور / مالك هلتون ، البريطاني الذي عمل بحثًا في الثمانينات عن دخول الإسلام إلى كينيا .

وانحصر الإسلام في مناطق الشمال الشرقي والجنوب والساحل بسبب صعوبة عوامل الاتصال ، ولم ينتشر الإسلام بالداخل إلا في سنة ١٩٠٢م تقريبًا ، ونسبة المسلمين في كينيا ما بين ٣٠ إلى ٣٥٪ ، والباقي ينقسمون ما بين النصارى والوثنيين .

ودولة كينيا دولة ديمقراطية - حسب زعمهم - وهناك حرية كاملة لنشر الإسلام والعمل في مجال الدعوة ، وبفضل الله سبحانه وتعالى الآن انتشرت الحركة العلمية السلفية في معظم المناطق ، فهناك حلقات تحفيظ للقرآن الكريم والمعاهد العلمية ، حتى كليات الدراسات الإسلامية أنشئت حديثًا ، ومدارس الدولة تسمح بتدريس اللغة العربية والثقافة الإسلامية ، غير أن اللغة العربية لم تلق الدعم من الدول العربية لنشرها في كينيا ، أما اللغات الأجنبية الأخرى ؛ فقد تبنتها الدول الأجنبية مثل الفرنسية أو الألمانية أو الإنجليزية .

فالدول الناطقة بهذه اللغات تتكفل بتدريس هذه اللغات في الكليات والمعاهد ، أما اللغة العربية فهي تعتبر يتيمة لا أحد يتبناها ، مع أن الدولة قد خاطبت في هذا الشأن سفراء الدول العربية لحثها على المساهمة

لنشر اللغة العربية ، وكانت النتيجة هي الصمت من قبل الدول العربية .

الإباضية .. والرافضة !!

■ س : فضيلة الشيخ ، تحدثت عن نسبة المسلمين في كينيا ، هل لكم أن تحدثونا عن نسبة أهل السنة بينهم ؛ خاصة أننا نسمع عن وجود الإباضية في منطقة الشرق الإفريقي ؟

□ ج : الإباضية في كينيا هم نسبة ضئيلة جدًا ووجودهم ينحصر الآن في مسجدين في مدينة « مالذى » ، وفي مدينة « ممباسا » .

أما الرافضة فيمكننا القول : إنها نسبة ضئيلة ، أما معظم الناس فهم ينتمون إلى أهل السنة والجماعة ، مع وجود الطائفة العلوية الصوفية ، وهي طريقة صوفية موجودة في جزيرة « اللامو » ، وقد دخلت الصوفية جزيرة « اللامو » منذ مائة سنة تقريبًا ، وهذه الطريقة جاءت من حضرموت .

بدع الصوفية !!

■ س : هل هذه الطريقة تنتمي إلى الطرق الكبرى الصوفية ، أم هي طريقة مستقلة ، أم هي تتبع السادة الأشراف الموجودين بمكة أو حضرموت ؟

□ ج : هم تابعون للسادة الموجودين بحضرموت ، وكذلك مكة العلوي المالكي .

■ س : ما هي أهم ما يميز هذه الطريقة عن غيرها من الطرق الأخرى ؟

□ ج : تعلمون أن الطرق الصوفية هي حركة باطنية ، عندهم رموز وأشياء لا يعلمها إلا هم أنفسهم ، لكنهم أصحاب مزامير ودفوف يضربونها في المساجد ، ويعتقدون هذه الطقوس من أهم الأمور في الدين من حفلات الموالد وما شابه ذلك ، وهم من الناحية العقدية قريبون من الرافضة ؛ لأنه من ضمن ما يقولون وينشدون من أبياتهم : (لي خمسة أطفي بهم نار الجحيم الحاطمه .. المصطفى والمرتضى وابناهما والفاطمه) .

فإذا نظرت إلى هذه الأبيات وما يعتقدها الرافضة فنجد هناك صلة بينهم وبين الرافضة .

التجانية .. وشرق إفريقيا

■ س : من المعلوم أن الطريقة التجانية لها تواجد في غرب إفريقيا بشكل خاص ، فهل لها وجود أيضًا في شرق إفريقيا ؟

□ ج : يقول الشيخ أبو حمزة : إما بالنسبة للتجانية ليس لهم وجود في شرق أفريقيا ، إنما كانت توجد القادرية والشاذلية ، ولكنها الآن انحصرت كثيرًا ، وأصبحوا عددًا محدودًا ، غير أن هناك طريقة تسمى الطريقة العلوية ، وهي مدرسة فكرية هناك من يؤصل لها الفكر ويدافع عن هذه المدرسة وينشر مبادئها ومن ضمن المعاهد التابعة للعلوية : معهد الثقافة الإسلامية في جزيرة « اللامو » ، وتعتبر معقل العلوية ، ومعهد الصفا ، ومدرسة بدر ، ومدرسة النور .

العلوية والتلاعب بالنصوص

■ س : لكل مدرسة سمات ، فما هي أهم سمات هذه المدرسة العلوية ؟

□ ج : أهم سمات هذه المدرسة التركيز على الأشراف بأنهم لا يخطئون ، لهم من الفضل والحقوق أكثر من أي مسلم آخر ، فهم لا يساوون بقية الناس من المسلمين ، ويتلاعبون بالنصوص بأن للقرآن ظاهرًا وباطنًا وبقية الناس لا يفهمون إلا الظاهر ، لكنهم يفهمون بواطن الأمور ، كما أنهم يركزون على تربية الناشئة على تقديس الخرافات والبدع التي ما أنزل الله بها من سلطان ، كما أنه عندهم أضرحة يخصصون أيامًا لزيارتها يختلط الرجال بالنساء ، ولا يرون بمثل هذه الأمور بأسًا .

■ س : كم تبلغ نسبتهم المئوية الآن ؟

□ ج : في جزيرة « اللامو » تبلغ نسبتهم الآن ٥٠٪ من سكان الجزيرة ، أما بقية المناطق ، فهم

عدد ضئيل جدًا .

التشويه اليهودي الأمريكي

■ س : الأحداث الأخيرة في كينيا : حادث الاعتداء على السفارة الأمريكية ؛ ما هي ردود الفعل والآثار المترتبة على ذلك ، والانعكاسات السلبية على الدعوة الإسلامية في كينيا ؟

□ ج : يقول الشيخ أبو حمزة : إن المخابرات الأمريكية حاولت تشويه سمعة الإسلام بهذه الحادثة ، وحاولت أن تضغط على الحكومة الكينية لتحارب الدعوة ؛ لأن الدعوة يعتبرونها منبعًا لمثل هذه الأحداث ، وبالطبع فإن هناك مراقبة من قبل السلطات ، وقد تم استجواب معظم الخطباء ، خاصة الذين يدعون إلى العقيدة السليمة ، وكان من ضمن الأسئلة التي وُجهت إليهم : ما رأيكم في أمريكا ؟ وماذا تفكرون عن مستقبل البلد ؟ وما علاقاتكم ببقية الديانات الأخرى ، وهل أنتم ترون أن الوضع يستلزم إعلان الجهاد ؟ وما شابه ذلك من الأسئلة .

ولكن - والحمد للّه - لم تثبت التحقيقات وجود أي علاقة للمسلمين في كينيا بتلك الحادثة ، بل أثبتت التحقيقات أن المخابرات اليهودية والأمريكان كانوا على علم بهذه الحادثة ، فبعض المصادر ترى أنهم ضالعون في هذه المسألة ، وكان لهم هدف من وراء ذلك ، وهو التمكن من إيجاد قاعدة عسكرية أمريكية في كينيا بعدما فشلوا في إيجاد قاعدة في الصومال .

■ س : هل يمكن أن نفسر حادث تفجير السفارات بأنه مرتبط بالتنافس الأمريكي الفرنسي بالقارة الإفريقية ، ومحاولة السيطرة وبسط النفوذ فيها ؟

□ ج : طبعًا لا أرى هذا ، بل الذي أراه - وهو أقرب إلى الصواب في هذه الحادثة - أن أمريكا تحاول عمل قاعدة عسكرية أمريكية لها في كينيا ؛ لأن الوجود الأمريكي في كينيا يمكنها من ضرب الدول العربية وقتما تشاء ، وكذلك ضرب الدعوة الإسلامية في الصومال ، حتى لا يتمكن الإسلام في الصومال ، فالإسلام هو المستهدف في جميع هذه الأحداث .

قُرى بأكملها أعلنت إسلامها !!

■ س : أعلن البابا أكثر من مرة أن سنة ٢٠٠٠ م ستكون إفريقيا نصرانية ، وبذلوا من أجل ذلك قصارى جهدهم ، والمؤسسات الإسلامية أيضًا قامت بجهد مشكور في الحد من تنصير أبناء المسلمين في إفريقيا ، فهل لهذا علاقة أيضًا بالحادث الأخير .

□ ج : لا شك في هذا ، والسبب في ذلك راجع إلى أن اللّه سبحانه قد خيب آمالهم ، وأتت النتائج بعكس المتوقع من قبل الأعداء ، فهم كانوا يعتقدون أنه في سنة ٢٠٠٠م ستكون إفريقيا كلها - وخاصة كينيا كبوابة إلى إفريقيا - تكون نصرانية ، إلا أنه بفضل اللّه حدث عكس ذلك ، فهناك عدد من القساوسة اعتنقوا الإسلام ، وقرى نصرانية أسلمت بكاملها .

موقف الحكومة من نشر الدعوة

■ س : إذا كنا نتحدث عن المسلمين في كينيا ، ومع اشتداد الحملات التبشيرية التي يقوم بها النصارى في إفريقيا عمومًا ، فما هو القدر الذي تسمح به الحكومة للقيام بالدعوة الإسلامية ؟

□ ج : الباب مفتوح ، فليس هناك ضغوط من قبل الحكومة ، فالكل يستطيع أن يعمل ، فأنت تستطيع أن تنشر الشريط والكتاب الإسلامي ، وملتقيات ولقاءات مفتوحة وفرص في الإذاعة والتليفزيون والصحف ، إلا أن الحكومة لا تريد أناس يتدخلون في سياسة الدولة فقط ، فأنت إذا لم تتدخل في سياسة الدولة فأنت حر في دعوة الناس إلى الإسلام ، وتقدم ما تستطيع للمسلمين .

■ س : من خلال حديثكم إلينا يبدو أن الساحة الإسلامية في كينيا مليئة بالجماعات والفرقة ، وحدثتمونا عن الصوفية

والرافضة ، فهل لكم أن تحدثونا عن الدعوة السلفية في كينيا ؟

□ ج : إن الدعوة السلفية عندنا التي تدعو إلى التمسك بالقرآن والسنة ، ومؤسسها هو الشيخ الأمين بن عسلي ، ثم الشيخ عبد الله صالح الفارس ، ثم الشيخ محمد قاسم المزروعي ، ثم أخيرًا الشيخ محمد عمر العمودي - رحمه الله - فهؤلاء قد كان لهم دور بارز في تأسيس الدعوة السلفية في شرق إفريقيا عمومًا ، والتي يعود تأسيسها إلى الخمسينيات .

■ س : إلى أي مدى أثرت الدعوة السلفية في كينيا ؟ وما مظاهر ذلك ؟

□ ج : الأثر واضح في الدعوة ؛ عودة الشباب إلى المساجد ، والتزام الشباب بحلقات العلم وحلقات تحفيظ القرآن في معظم المناطق ، وارتداء المرأة المسلمة للحجاب ووجود معاهد إسلامية ، كل ذلك من الآثار الواضحة للدعوة الإسلامية .

■ س : كيف تسهم الدول العربية والإسلامية في نشر الدعوة الإسلامية في كينيا ؟

□ ج : وذلك عن طريق رفع كفاءة المعاهد الدينية لإعداد كوادر من العلماء والدعاة ، وإمداد المكتبات والمساجد بالمراجع والكتب والرسائل النافعة .

دور الأزهر في نشر الدعوة

■ س : ما هو الدور الذي يقوم به الأزهر الشريف في خدمة الدعوة الإسلامية في كينيا ؟

□ ج : للأزهر بعض البعثات تعمل في بعض المدارس ، ولكن هذه البعثات تقابلها مشكلة ، وهي مشكلة اللغة ؛ لأن معظمهم لا يعرفون إلا اللغة العربية ، وبالتالي ينحصر عملهم في أوساط المدارس فقط ، فلا يستطيعون أن يتعاملوا مع المواطنين بسبب عامل اللغة .

■ س : هل تأثر العلماء - الذين ذكرتهم - الذين قاموا على تأسيس الدعوة السلفية في كينيا بأنصار السنة في السودان من خلال رحلاتهم خارج كينيا . وهل لكم علاقة بأنصار السنة في السودان ؟

□ ج : هؤلاء معظمهم تأثروا بالمملكة العربية السعودية بسبب الزيارات التي كانت تتم من قبل هؤلاء العلماء في موسم الحج والعمرة ، أما أنصار السنة في السودان أخيرًا بدأت تعطي فرصًا في معاهدها العلمية لبعض الشباب ليلحقوا بالمعاهد العلمية ، ولكن هذه متأخرة جدًا ، أما سابقًا فإن الدعوة وصلتنا بواسطة العلماء الذين كانوا يأتون للحج والعمرة ويرجعون وينقلون معهم الكتب والدعوة إلى العقيدة السليمة .

■ س : وسائل الإعلام من صحافة وإذاعة وغيرها تكون لسان حال مميز ومعبر عن الدعوة أو الجماعة في أي مكان ، هل لكم من صحيفة دورية ، أو منبر في إذاعة كينيا ؟

□ ج : هناك برامج تقدم في الإذاعة ، أما في الصحف فليس هناك صحف تنطق باسم الدعوة السلفية ، إنما هي مجرد تعاون مع الصحف الموجودة ، مثل الرسالة باللغة الإنجليزية والساحلية ، وجميع الاتجاهات تكتب فيها ، وليست الدعوة السلفية فقط هي التي تكتب فيها .

■ س : هل عدم وجود صحيفة بسبب بعض المضايقات الرسمية ؟

□ ج : هذا يعود إلى ضعف الإمكانات لطبع صحف خاصة ، وهذه الإمكانات مادية فقط ، أما الكوادر فموجودة ، ولله الحمد .

■ س : هل لكم دور في نشر الإسلام من خلال وجود كوادر في الإذاعة والتليفزيون الكيني ؟

□ ج : هناك برنامج أسبوعي وشهري ، وموسمي كذلك ؛ مثل شهر رمضان ، هذه البرامج تعرف بالإسلام من خلال الإذاعة باللغة المحلية .

الرافضة في كينيا !!

■ س : هل هناك تواجد يذكر لبعض الفرق المنتشرة في

إفريقيا ؛ مثل البهائية والقاديانية ؟

□ ج : القاديانية لهم دور في نشر كتيبات باللغات المحلية المختلفة ، ويجدون الدعم من الخارج ، ولهم أنشطة في المناطق التي لم تصل إليها الدعوة حتى الآن بصورة منتظمة مثل غرب كينيا . وأما الرافضة فلهم أنشطة منظمة من خلال السفارة الإيرانية ، وأنشطتهم مدعومة بالأموال ، وهم يرسلون بعثات إلى لبنان وإيران ، وعندهم في مجال الإعلام أكثر من سبع مجلات تصدر شهريًا ، تصل إلى من يريدها ومن لا يريدها ، وأنا أجد هذه المجلة بدون أن أقدم طلب في صندوق البريد الخاص بي ، فهم حصروا أسماء المسلمين ، ويراسلون وينشرون هذه المجلات في الجامعات ، وكل هذا طبعا بدعم من السفارة الإيرانية ، وهم يعملون تحت مظلة جمعية اسمها أهل البيت ((كويتية)) .

دور أهل السنة في مناهضة الفكر الشيعي

■ س : ما هو دور أهل السنة في كينيا في مناهضة الانتشار الشيعي والفكر الشيعي ؟

□ ج : هم الآن يركزون على الذين يعتنقون الإسلام حديثًا ، فلا يذهبون إلى المسلمين الذين ولدوا في الإسلام وتعرفوا بالإسلام ، أما من أكبر المشايخ الذين لهم جهد مشكور في هذا الجانب ، فهو الشيخ محمد شريف - خريج الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - عنده سلسلة من الدروس للرد على الرافضة ، وقد أثرت هذه المحاضرات والدروس على عوام الناس ، فمعظم الناس فهموا أهداف الرافضة .

تعداد الشيعة في كينيا

■ س : هل تحت أيديكم إحصائيات عن تعداد الشيعة في كينيا بين المسلمين ؟

□ ج : ليس هناك إحصائية دقيقة ، لكن عددهم يتراوح ما بين ٣ إلى ٤٪ من تعداد المسلمين في كينيا .

■ س : ما دور المرأة المسلمة في نشاط الدعوة السلفية في كينيا ؟

□ ج : المرأة في كينيا يمكن أن تكون متميزة عن الدول الإفريقية الأخرى بفضل الله ، ثم بفضل وجود معهد التربية الإسلامية للبنات ، وقد تخرج من هذا المعهد أكثر من ١٥٠ فتاة مسلمة درسوا دبلوما للدراسة الإسلامية ، ويقمن بدور فعال لدعوة النساء .

■ س : هل عندكم معاهد شرعية أو مدارس عصرية ؟

□ ج : المعاهد الموجودة مثل : معهد النجاح ، ومعهد السلام ، ومعهد الفاروق ، ومعهد الهدى ، ومعهد الفتح ، ومعهد الفرقان في نيروبي سوف يؤسس - إن شاء الله تعالى - قريبًا .

هذه المعاهد في مستوى الثانوية ، وهناك معاهد في مستوى المتوسطة ، فهذه المعاهد كلها تتخصص في الثقافة الإسلامية واللغة العربية ، إضافة إلى الاهتمام بتربية أبناء المسلمين تربية إسلامية وتدرس العقيدة الصحيحة ، وبدأت الآن مدارس عصرية إسلامية : منها مدرسة أبي هريرة الإسلامية التي بنيت بنفقة جمعية إحياء التراث الإسلامي الكويتية ، جزاهم الله خير الجزاء ، وتعتبر من أنشط المدارس العصرية الإسلامية .

■ س : في النهاية ، هل لكم أن تعطونا نبذة صغيرة عن الأحوال الاقتصادية في كينيا ؟

□ ج : ينقسم المسلمون في كينيا إلى ثلاث طبقات : طبقة أثرياء ، وطبقة متوسطة ، وطبقة فقيرة ، فالطبقة الثرية معظمهم من الحضارمة والجاليات الآسيوية من الهند وباكستان .

والله ولي التوفيق .

أسئلة القراء عن الأحاديث

يجيب عليها :

فضيلة الشيخ :

أبو إسحاق الحويني

● يسأل القارئ : محمد حسين عبد اللطيف - الإسكندرية - عن درجة هذه الأحاديث التي ذكرها ابن كثير في « تفسيره » :

> ١- أن النبيَّ ﷺ قرأ : ﴿ لا ينالُ عهدي الظالمين ﴾ . قال : « لا طاعة إلاَّ في المعروف » ؟

⊙ والجواب بحول الملك الوهاب : **ذكر الآية فيه منكرٌ** .

وقد أخرجه ابن مردويه في « تفسيره » ، كما ذكر ابنُ كثير من طريق سليم بن سعيد الدامغاني ، ثنا وكيعٌ عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدةَ ، عن أبي عبد الرحمن السلميِّ ، عن عليٍ بن أبي طالبٍ ، عن النبي ﷺ .

● قلتُ : كذا رواه الدامغاني ، وقد خالفه الثقاتُ من أصحاب وكيعٍ ، فرووه عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة ، عن أبي عبد الرحمن السلمي ، عن علي بن أبي طالب قال : بعث رسول الله ﷺ سريّةً واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار ، قال : فلما خرجوا وجد عليهم في شيء ، فقال لهم : أليس قد أمركم رسول اللّه ﷺ أن تطيعوني ؟ قالوا : بلى ، قال : اجمعوا حطبًا ، ثم دعا بنار فأضرمها فيه ، ثم قال : عزمتُ عليكم لتدخلُنَّها ، قال : فهمَّ القوم أن يدخلوها ، قال : فقال لهم شابٌ منهم : إنما فررتم إلى رسول اللّه ﷺ من النار ، فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول اللّه ﷺ ، فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها . قال : فرجعوا إلى رسول اللّه ﷺ فأخبروه ، فقال لهم : « لو دخلتموها ما خرجتم منها أبدًا ، إنما الطاعةُ في المعروف » .

وأخرجه مسلمٌ (١٨٤٠/٤٠) ، وأبو عوانة (٤/٤٥٢، ٤٥٣) ، وأحمد (١٠١٨) ، وابن أبي شيبة في « المصنف » (١٢/٥٤٢) ، وأبو يعلى (ج١/ رقم ٣٧٨، ٦١١) . وقد رواه عن وكيع : أحمد بن حنبل ، وابن أبي شيبة ، ومحمد بن عبد اللّه بن نمير ، وزهير بن حرب ، وأبو سعيد الأشجُ ، وإبراهيم بن عبد اللّه ، وعبيد اللّه بن عمر القواريري - كلُهم - يرويه عن وكيع عن الأعمش بهذا الإسناد ، ولم يذكر واحدٌ منهم الآية .

وكذلك رواه أصحابُ الأعمش عنه ، عن سعد بن عبيدة بهذا الإسناد ، فلم يذكر واحدٌ منهم الآية فيه .

أخرجه البخاريُّ (٨/٥٨) من طريق عبد الواحد بن زياد ، وأيضًا (١٣/١٢٢) من طريق حفص بن غياث ، ومسلم (١٨٤٠/٤٠) ، وأحمد (٦٢٢) من طريق أبي معاوية . والنسائي في « كتاب السير » (٥/٢٢١- الكبرى) ، والطيالسيُّ في « مسنده » (٨٩، ١٠٩) ، وأبو عوانة (٤/٤٥١، ٤٥٢) من طريق شعبة بن الحجاج . وأبو عوانة (٤/٤٥٣، ٤٥٤) من طريق علي بن مُسهر - كلُّهم - عن الأعمش ، عن سعد بن عبيدة بسنده سواء .

وكذلك رواه منصور بن المعتمر ، عن سعد بن عبيدة بهذا الإسناد ، ولم يذكر الآية .

أخرجه النسائي في « كتاب السير » (٥/٢٢١- الكبرى) من طريق الطيالسي ، وأبو عوانة (٤/٤٥١، ٤٥٢) من طريق سهل بن حماد أبي عتاب الدَّلال قالا : ثنا شعبة ، عن الأعمش ومنصور ، عن سعد بن عبيدة بسنده سواء . ولم يذكر النسائي القصَّة .

وكذلك رواه زبيد الإيامي ، عن سعد بن عبيدة بهذا الإسناد ، ولم يذكر القصة .

أخرجه البخاري (١٣/٢٣٣) ، ومسلم (١٨٤٠/٣٩) ، والنسائي في « المجتبى » (٧/١٥٩) ، وفي « السير » (٥/٢٢١- الكبرى) ، وأحمد (٧٢٤) من طريق محمد بن جعفر غندر .

وأخرجه أبو داود (٢٦٢٥) قال : حدثنا عمرو بن مرزوق ، وابنُ حبانَ (ج١٠/ رقم ٤٥٦٧) من طريق ابن المبارك ، وأبو عوانة (٤/٤٥١، ٤٥٢) من طريق الطيالسي وسهل بن حماد ، والبزار (٥٨٩) من طريق وهب بن جرير ، وابن نجيد في « أحاديثه » (ق ١/٧) من طريق ابن أبي عدي قالوا جميعًا : ثنا شعبة ، عن زبيد الإيامي ، وتابعه الثوري عن زبيد الإيامي بهذا الإسناد دون القصة ، ولم يذكر الآية .

أخرجه أحمد (١٠٦٥) ، وابنه عبد اللّه في « زوائد المسند » (١٠٩٥) قال : حدثنا عبيد اللّه بن عمر القواريري . وأبو يعلى (ج١/ رقم ٢٧٩) قال : حدثنا زهير بن حرب ، وابنُ حبان (ج١٠/ رقم ٤٥٦٨، ٤٥٦٩) من طريق نوح بن حبيب - أربعتهم - قالوا : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، ثنا سفيان الثوري . وتابعه روح بن عبادة ، ثنا الثوري بهذا الإسناد .

أخرجه البزار (٥٨٦- البحر) .

قُلْتُ : فيظهر من هذا أن ذكر الآية في الحديث مما تفرَّد به الدامغاني ، فروايته منكرة . واللّه أعلمُ .

● ٢- أن إبراهيم عليه السلام قال فيه الله : ﴿ وَإِبْراهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾ . لأنه كان يقول كلما أصبح أو أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ ؟

⊙ والجواب : **حديثٌ منكرٌ** .

أخرجه ابنُ جرير في « تفسيره » (١٩٣٨ و٧٣/٢٧) ، وفي « التاريخ » (٢٨٦/١) قال : حدثنا أبو كريب . وأخرجه الطبرانيُّ في « الكبير » (ج٢٠/ رقم ٤٢٨) من طريق محمد بن أبي السري ، وابنُ عدي في « الكامل » (١٠١١/٣) من طريق زهير بن عباد ، وابنُ عساكر في

«تاريخه» (٦/٢١٢، ٢١٣) من طريق محمد بن يوسف قالوا : ثنا رشدين بن سعد ، حدثني زبَّانُ بن فائد ، عن سهل بن معاذ بن أنس ، عن أبيه ، قال : كان النبي ﷺ يقول : «ألا أخبركم لِمَ سمَّى اللَّه إبراهيم خليله الذي وفَّى ؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وكلَّما أمسى : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾» حتى يختم الآية .

ورشدين بن سعد - بكسر الراء المهملة - ضعيفٌ جدًّا ، لكنه توبع ، تابعه عبد اللَّه بن لهيعة ، ثنا زبَّان بن فائد بهذا الإسناد سواء .

أخرجه أحمد (٣/٤٣٩) ، ومن طريقه ابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٦/٢١١) قال : حدثنا حسن بن موسى الأشيب ، وابنُ أبي حاتم في «تفسيره» ، كما في «ابن كثير» (٧/٤٤٠) ، والطبراني في «الكبير» (ج٢٠/ رقم ٤٢٧) من طريق أسد بن موسى ، وابنُ السُّني في «عمل اليوم والليلة» (٧٨) ، ومن طريقه ابنُ عساكر (٦/٢١٢) من طريق عثمان بن سعيد بن كثير . وابن عساكر أيضًا من طريق النضر بن عبد الجبار ، قالوا جميعًا : حدثنا ابنُ لهيعة بسنده سواء وسنده ضعيفٌ جدًّا .

وزبَّان - بالزاي المعجمة مع تشديد الباء الموحدة - هو ابن فائد ، وهو منكرُ الحديث . ضعَّفه أحمد وابن معين وغيرهما ، وقال ابنُ حبان : يتفرَّد عن سهل بن معاذ بنسخة كأنها موضوعةٌ .

وسهل بن معاذ ضعَّفه ابنُ معين . وقال ابنُ حبان : منكرُ الحديث جدًّا ، فلستُ أدرى أوقع التخليط في حديثه منه أو من زبَّان بن فائد ، فإن كان من أحدهما فالأخبار التي رواها أحدهما ساقطة .

وبالجملة : فالحديث منكرٌ ، وقد ضعَّفه ابنُ جرير لما رواه ووافقه ابنُ كثير على ذلك .

● ٣- أن إبراهيم عليه السلام سُمي : الذي وفَّى ؛ لأنه وفَّى عمل يومه أربع ركعات في النهار ؟

⊙ والجواب : **حديث ضعيف** .

أخرجه ابنُ جرير (١٩٣٩ و٢٧/٤٣) ، وفي «التاريخ» (١/٢٨٦) من طريق إسرائيل بن يونس ، وابنُ أبي حاتم في «تفسيره» ، وآدم بن إياس ، وعبد بن حميد في «تفسيرهما» ، كما في «ابن كثير» (٧/٤٣٩، ٤٤٠) من طريق حماد بن سلمة . وأخرجه ابن عساكر في «تاريخه» (٦/٢١٣، ٢١٤) من طريق يزيد بن هارون ومكي بن إبراهيم - كلهم - عن جعفر بن الزبير ، عن القاسم ، عن أبي أمامة مرفوعًا . وسندُه ساقط ، وجعفر بن الزبير تالفٌ . قال أبو حاتم : روى جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة نسخة موضوعة أكثر من مائة حديث .

ولكن وجدتُ له طريقًا آخر . أخرجه الطبرانيُّ ، ومن طريقه ابنُ عساكر (٦/٢١٣) قال : حدثنا أحمد بن أبي يحيى الحضرمي ، نا محمد بن أيوب بن عافية ، ثنا جدي ، نا معاوية بن صالح عن سليم بن

عامر ، عن أبي أمامة مرفوعًا فذكره . وإسناده وإن كان خيرًا من الأول إلا أنه ضعيف . وأحمد بن أبي يحيى ليَّنه ابنُ يونس ، كما في « الميزان » (١٦٣/١) . وعافية بن أيوب جدُّ محمدٍ . قال الذهبي (٣٥٨/٢) : (تُكُلِّم فيه ، ما هو بحجةٍ ، وفيه جهالةٌ) . والله أعلم .

● ٤- أن النبي ﷺ قرأ : ﴿ يتلونهُ حقَّ تلاوته ﴾ . فقال : « يتبعونه حقَّ اتباعه » ؟

⊙ والجواب : **حديثٌ باطلٌ** .

أخرجه الخطيبُ البغدادي في « الرواة عن مالكٍ » ، وفي « اقتضاء العلم العمل » (١١٨) من طريق العباس بن أحمد الخواتيمي ، ثنا العباس بن الفضل الأرسوفي ، نا أحمد بن عبد العزيز ، نا نصر بن عيسى عن مالكٍ ، عن نافعٍ ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ ، فذكره .

وصرَّح الخطيب فيما نقله الذهبي في « الميزان » (٤٥٣/٤) أن في إسناده غير واحدٍ من المجاهيل وهم الخواتيمي وأحمد بن عبد العزيز ونصر بن عيسى . أما الأرسوفي فقد اتهمه الذهبيُّ في « الميزان » (٣٨٦/٢) بخبرٍ باطلٍ . واللَّه أعلم .

● ويسأل القارئ : محفوظ السيد عطوة - الإسكندرية - الحضرة القبلية - فيقول :

ذكر بعض الخطباء أن الإنسان إذا كان يصلي وتكلَّم حوله ناسٌ فوعى ما يقولون ، فإن هذا يقدح في خشوعه . فهل هذا الكلام صحيحٌ ؟

⊙ والجواب بحول الملك الوهاب : أن هذا بحسب وعيه لما يدور حوله ، أما إذا التقط المرء بعض ما يدور حوله فهذا لا يقدح في خشوعه ، إذ لا يتصور أن يكون المرء أصمَّ عما يجري حوله . فهذا من تكليف ما لا يطاق .

والدليل على ذلك ما أخرجه مسلم (٥٤/٣٣) ، وهذا لفظه - والحديث في « الصحيحين » - من حديث عتبان بن مالك قال : أصابني في بصري بعضُ الشيء ، فبعثت إلى رسول اللَّه ﷺ : إني أحبُّ أن تأتيني فتصلي في منزلي فاتخذه مصلًى . قال : فأتى النبي ﷺ ومن شاء اللَّه من أصحابه ، فدخل وهو يصلي في منزلي وأصحابه يتحدثون بينهم ، ثم أسندوا عظم ذلك وكُبْرَه إلى مالك بن دخشم ، قالوا : ودوا أنه دعا عليه فهلك ، وودوا أنه أصابه شرٌّ ، فقضى رسول اللَّه ﷺ الصلاة وقال : « أليس يشهد أن لا إله إلا اللَّه وأني رسول اللَّه ؟.. » الحديث .

ففي هذا الحديث أن النبي ﷺ وعى بعض كلامهم وهو يصلي ، فلما قضى صلاته ردَّ عليهم ، ولم يقدح ذلك في خشوعه عليه الصلاة والسلام . واللَّه أعلم .

* * *

الفتاوى

إعداد
لجنة الفتوى بالمركز العام
رئيس اللجنة
محمد صفوت نور الدين
أعضاء اللجنة
صفوت الشوادفي
د. جمال المراكبي

لباس المرأة يجب أن يستر البدن كله عند الخروج !!

● تسأل السائلة : م . أ . س :

عن شروط اللباس الشرعي للمرأة عند خروجها من بيتها ؟

◎ **والجواب** : أن لباس المرأة الذي تخرج فيه يجب أن يستر البدن كله ، وأن يكون سميكًا ، فلا يظهر ما تحته ، وأن يكون واسعًا فضفاضًا لا يصف ، ولا يشف ، وألا يكون زينة في نفسه ، وألا يشبه لباس الكافرات ، ولا يشبه لباس الرجال ، وألا يكون لباس شهرة . والله أعلم .

لا يجوز للمسلم أن يحتفل بأعياد الكافرين

● ويسأل : وليد خليفة حمودة - حلوان - قائلاً :

قصر البنك المركزي إجازة عيد الميلاد وعيد القيامة على المسيحيين ، فما حكم ذلك ؟

◎ **والجواب** : أنه لا يجوز للمسلم أن يحتفل بأعياد الكافرين ؛ فإن هذا من الموالاة الممنوعة ، فضلاً عن مخالفته لعقيدة المسلم في أن المسيح ﵇ لم يُقتل ، ولم يُقبر حتى يقوم من قبره ، فيكون له قيامة ؛ لقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

لا يُضيق على تائب باب التوبة

● ويسأل : ع . هـ . ي . من الدقهلية :

عن منزل يعيش فيه مع أبيه ، وقد أغواه بعض تجار المخدرات ودخل السجن مرتين ، قضى به ثلاثة عشر عامًا ، وقد جدد بناء البيت من أموال مكتسبة من هذه التجارة المحرمة ، فماذا يفعل إذا أراد أن يتوب ؟

◎ **والجواب** : أنه لا يُضيق على تائب باب التوبة ، ولا يُؤمر أن يخرج من منزله الذي يحتاج إلى سكناه ، ونوصي السائل أن يقرأ رسالة : ((أريد أن أتوب ولكن)) . والله أعلم .

* * *

قراءة الإمام قراءة للمأموم

● ويسأل : هـ . ط . أ :

هل يتعارض حديث : ((من أدرك من الصلاة ركعة(1) فقد أدرك الصلاة)) مع الأحاديث الأخرى التي توجب قراءة الفاتحة ، مثل : ((لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب)) ؟

◎ **والجواب** : أنه لا تعارض بينهما ، حيث جاء في الحديث : ((من كان له إمام ، فقراءة الإمام له قراءة)) . فالركعة التي صلى فيها خلف الإمام ، وإن لم يدرك القيام فيها ذلك المأموم ، فهو يعتد بها ركعة ؛ لأن قراءة الإمام رفع الله عنه بها تكليف القراءة ، وهذا ما عليه جماهير أهل العلم ، والقول بغيره قول ضعيف معارض للأحاديث الصحيحة الكثيرة . والله أعلم .

هذا العمل شبيه بالسمسرة وهي جائزة !!

● ويسأل : علي فرج عبد الرحمن السيد – الحامول – كفر الشيخ :

أقوم بنجارة الأبواب والشبابيك ، ويأتي المشتري ومعه نجار ويتم البيع ، فأعطي النجار مالاً نظير جلبه للزبائن ، فهل هذا جائز ؟

◎ **والجواب** : أن هذا العمل شبيه بالسمسرة ، وهي جائزة ، إن كانت نظير خدمة يصدق فيها وينصح للطرفين بغير تغرير ولا خداع .

● ويسأل : أسامة حسين مصطفى – قوص – قنا :

أعمل بشركة لصناعة السكر ، فهل يجوز لنا استخدام سكر من المنتج لعمل الشاي داخل المصنع باستخدام الكهرباء والماء من المصنع ؟

◎ **والجواب** : أن ذلك جائز بشرطين :

الأول : ألا يكون ذلك محظورًا لتعارضه مع سلامة العمال والمكان .

والثاني : أن يأذن في ذلك صاحب العمل أو وكيله . والله أعلم .

الإسلام يدعو أهله إلى الرفق بالعبيد

● **كما يسأل** : *عن الرق في الإسلام ؟*

◎ **والجواب** : أن نظام الرق في الإسلام من أهم مفاخر الإسلام ؛ ذلك أن الحرب بين الكافرين والمسلمين يقع فيها الأسر ، وهذا هو المصدر الوحيد الذي أباح الإسلام استرقاق الأنفس بسببه ، فإن النظم المعاصرة تجعل الأسير سجينًا ؛ لأنها تعلم أن مناهجها قومية أرضية لا يتحول الأسير إليها لاختلاف نسبه ووطنه ، أما الإسلام فهو منهج رب الخلق كلهم ، فهو يثق أن من جاء محاربًا للإسلام فهو إما جاهل ، أو مغرر به ، فإذا دخل بين المسلمين ورأى محاسن الإسلام في اعتقاده وتعبده وسلوكه وجميل المعاملة لم يبغ هروبًا منه ، بل أعجبه الإسلام فاعتنقه ، وكثيرًا ما يشتد شغفه بالإسلام فيتعلمه ؛ فيصبح فيه عالمًا من أعلامه ، لا يمنعه رقه أن يرتفع فوق الأحرار ، ولا يحرمه مولاه (مالكه) من طلب العلم إذا وجد فيه خيرًا وفطنة وفهمًا ، وإن المستعرض لموالي الصحابة وأرقاهم يدهشه كثرة العلماء منهم ؛ فنافع مولى ابن عمر ، وكريب مولى ابن عباس ، وحمران بن أبان مولى عثمان بن عفان ، بل من الصحابة من كان أحفظهم للقرآن مثل سالم مولى أبي حذيفة . وهذا باب هام يطول ذكره .

---

(1) قيل معنى الركعة هاهنا : الركوع ، ومعنى الصلاة : الركعة . ((الموطأ)) .

ونريد أن نلفت النظر في ذلك إلى ما يلي :

أ- إن أعمال الخدمة يقوم بها بشر ، فإذا أوكلت إلى الخدم وهم أحرار ، أو أوكلت للعبيد وهم أرقاء ، لم تخرجهم عن إطار العمل البشري ، لكن التقييد بالسلاسل والحبس في السجون والإهانة والتعذيب والتجويع والتخويف هو سياسة معاملة أهل الحضارة الحديثة لكل من ليس من بني جنسهم !!

هذا ، والإسلام يدعو أهله إلى الرفق بالعبيد ؛ ففي مسلم عن هشام بن حكيم بن حزام أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : ((إن الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا)) .

ب- إن الإسلام رفع الرقيق وأعلى شأنهم بإحسان معاملتهم في قوله تعالى : ﴿ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ [النساء : ٣٦] ، حتى إن رسول الله ﷺ يقول وعلى فراش الموت : ((الصلاة وما ملكت أيمانكم)) . يظل يكررها حتى احتبس صوته ، بقيت تردد في صدره ولا يخرج بها صوته .

وكذلك ما أخرجه مسلم عن سويد بن مقرن ، رضي الله عنه ، قال : لقد رأيتني سابع سبعة من بني مقرن ما لنا خادم إلا واحدة لطمها أصغرنا ، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نعتقها .

وروى مسلم عن ابن عمر ، رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : ((من ضرب غلامًا له حدًا لم يأته ، أو لطمه ، فإن كفارته أن يعتقه)) .

وروى مسلم عن أبي مسعود البدري ، رضي الله عنه ، قال : كنت أضرب غلامًا لي بالسوط ، فسمعت صوتًا من خلفي : ((اعلم أبا مسعود)) ، فلم أفهم الصوت من الغضب ، فلما دنا مني ، إذا هو رسول الله ﷺ يقول : ((اعلم أبا مسعود أن الله أقدر عليك منك على هذا الغلام)) . فقلت : لا أضرب مملوكًا بعده أبدًا . وقال : يا رسول الله ، هو حر لوجه الله تعالى ، فقال ﷺ : ((أما لو لم تفعل للفحتك النار ، أو لمستك النار)) .

وفي الحديث : ((إِخْوَانُكُمْ ، وخَوَلُكُمْ ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليُطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم)) . متفق عليه .

جـ- وسع الإسلام في إخراج الأرقاء من الرق إلى الحرية ، وحذر من استرقاق الأحرار واتخاذهم عبيدًا . فجعلها رب العزة من أفضل القربات ..

أخرج البخاري في ((صحيحه)) عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : ((قال الله : ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجلٌ أعطى بي ثم غدر ، ورجلٌ باع حرًا فأكل ثمنه ، ورجلٌ استأجر أجيرًا فاستوفى منه ولم يُعطه أجره)) . ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ❁ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ❁ فَكُّ رَقَبَةٍ ❁ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ❁ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ❁ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ❁ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ ❁ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴾ [البلد : ١١ - ١٨] ، وفي قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ ... ﴾ [البقرة : ١٧٧] .

وجعل الله سبحانه وتعالى تحرير الأرقاء كفارة لكثير من الذنوب ؛ مثل كفارة اليمين ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾ [المائدة : ٨٩] ، وكذلك كفارة من جامع زوجته في

نهار رمضان ، فكفارته عتق رقبة ، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين ، فإن لم يجد فإطعام ستين مسكينًا ، وكذلك كفارة القتل الخطأ جاء في الآية الثانية والتسعين من سورة « النساء » ثلاث مرات الأمر بعتق رقبة ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلاَّ خَطَئًا وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَئًا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلاَّ أَن يَصَّدَّقُواْ فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةً فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾ [النساء : ٩٢] .

وكذلك كفارة الظهار : ﴿ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ [المجادلة : ٣] .

وجعلها الله سبحانه وتعالى من مصارف الزكاة الثمانية : ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة : ٦٠] ، وأمر بمكاتبة من كان فيهم خير ؛ أي قدرة على العمل ، وذلك بأن يتفقوا معهم على أداء مقدار معين من المال فيصبحوا به أحرارًا ، بل فرض الله عليهم أن يعينوهم من أموالهم : ﴿ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ﴾ [النور : ٣٣] .

د- لما كانت البيوت يعمل أهلها فيها بالإسلام كان كل من دخله من ولد أو زوجة أو خادم أو رقيق أو ضيف وجد الإسلام يظلل البيت بأحكامه السامية ، فيدخل عليهم السعادة حيث يأجر الله من كان رفيقًا في معاملته محسنًا لمن حوله ، عندئذ يسعد الأرقاء ببقائهم في تلك البيوت ، ويروا فيه حماية ، وكان ذلك حبهم للإسلام دافعًا لهم أن يعتنقوه ويحبوه فأدوا شعائره ، ففاقوا فيه وسادوا .

هـ- لما عمل المسلمون بإسلامهم كانت لهم منعة وقوة استطاعوا أن يحموا أحرارهم وعبيدهم ، لكن المسلمين لما هجروا الإسلام وتعلقوا بالدنيا صاروا ضعافًا لا يملكون لأنفسهم حماية ، فضلاً عن أن يحموا غيرهم من العبيد والأرقاء ، بل شوه لهم الأعداء جمال الإسلام وغزوهم في أفكارهم ، فصوروا لهم الإسلام في محاسنه عيوبًا ومسالب ، حتى ظنوا أن في شريعة الإسلام نقصًا ، وأن الحضارة الغربية الملحدة تستدرك على الإسلام ما فيه من تلك المسالب ، وإنما ذلك الأمر المقلوب لشدة جهل المسلمين بدينهم وتصديقهم للكذابين والأفاكين من أعدائهم .

هذا ، وإن من أعظم محاسن الإسلام نظام الرق ، ونظام الطلاق ، ونظام الزواج ، وتعدد الزوجات ، والإسلام كله محاسن ؛ لأنه من عند الله رب العالمين الذي خلق ﴿ أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ﴾ [الأعراف : ٥٤] .

يجب عليك ألا تأخذ منه مالا إلا بعلمه !!

● ويسأل : ح . أ . خ : البحيرة :

أنه لما كان في الثانية عشر من عمره كان يأخذ من أبيه المال بغير علمه ، ولما بلغ خمسة عشر عامًا هداه الله تعالى ، وهو يأخذ المال برضاه ، وإذا تجمع معه مال اشترى به بعض الكتب الإسلامية ، ويقول : فما حكم ما أخذت من والدي بغير علمه ؟

◎ **والجواب** : أن ما أخذت بغير علم منه عليك أن تطلب منه السماح في ذلك ، وأن تحرص على ألا تأخذ منه مالاً إلا بعلمه ، وألا تنفقه إلا في حلال

الشريعة الإسلامية أصل أحكام القضاء

الحلقه الثالثه

بقلم المستشار الدكتور :
فاروق عبد العليم موسى
رئيس محكمة استئناف
عالي المنصورة سابقاً

عرض وتلخيص
مدير التحرير

الحمد للَّه ، والصلاة والسلام على رسول اللَّه ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه .. وبعد :

فإن من بين آيات سورة « المائدة » الآية الرابعة والأربعين إلى الآية السابعة والأربعين ، أثارت خلافًا في تفسيرها ، وعلى من تنطبق ؟ وهل الأوصاف التي أوردتها خاصة بأهل الكتاب دون الأمة الإسلامية ؟ أم أنها عامة على كل من توافرت فيه علة الوصف ؟

يقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَاء فَلاَ تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلاَ تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلاً وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ۞ وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ۞ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعَيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ۞ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنجِيلِ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [المائدة : ٤٤ - ٤٧] .

الأوصاف الواردة في الآيات في قوله : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، ﴿ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ ، ﴿ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ على من تنطبق ؟

اختلفت الروايات عن بعض الصحابة والتابعين ومن بعدهم في ذلك ، ويمكن إجمالها في أربعة أقوال :

۞ **القول الأول** : ويذهب إلى عموم هذه الأوصاف ، وأنها تنطبق على كل من لم يحكم بما أنزل الله تعالى ، سواء من الأمم السابقة ، أو من الأمة الإسلامية ، ويمكن أن يقال : إن هذا القول يتضمن أيضا الرأي الذي قال به البعض من أن هذه الآيات وإن كانت نزلت في أهل الكتاب ، إلا أنه يراد بها جميع الناس مسلموهم وكفارهم ، إن اقترفوا ما اقترفه أهل الكتاب ، وعلى ذلك فهذا الرأي يأخذ في حقيقته بعموم الآيات . « القرطبي » (٢١٨٧) .

ويستدل أصحاب هذا القول على عموم الآيات بالصيغة التي وردت بها ، وذلك أن كلمة « من » في قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ من صيغ العموم ؛ فيندرج تحتها أهل الكتاب وغيرهم من المكلفين من الأمة الإسلامية إلى

يوم القيامة ، كما أن الصيغة وردت في مورد الشرط في قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ ، وجاء جواب الشرط بصيغة العموم في قوله تعالى : ﴿ فَأُولَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ، و﴿ الظَّالِمُونَ ﴾ ، و﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾ ، وكلها تنطق بحكم عام على كل من لم يحكم بما أنزل الله في كل مكان ، وفي كل زمان ، وفي أي أمة ، ولا دليل يخصص هذا العموم ، وقد روي هذا القول عن حذيفة ، رضي الله عنه ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عباس ، والحسن البصري ، وإبراهيم النخعي ، ومفهوم من قول مجاهد ، وطاوس ، وسعيد بن جبير ، وعلي بن الحسين ، وهو اختيار الطبري . « تفسير الطبري » (٦/١٤٧) ، وما بعدها ، ومن المفسرين المحدثين رشيد رضا « المنار » (١/٣٣٤١) ، وسيد قطب « في ظلال القرآن » (٢/٨٩٨) .

۞ **القول الثاني** : ويذهب إلى أنها نزلت في الكافرين . روي ذلك عن البراء ، وقال الطبري في « تفسيره » (٦/١٤٦) : وروي عن البراء بن عازب أنها نزلت في الكافرين كلها ، وعن أبي صالح مثل هذا القول ، وقال : ليس في أهل الإسلام منها شيء ، هي في الكفار ، كما روي ذلك عن الضحاك وأنها في أهل الكتاب ، وكذا روي مثل ذلك عن أبي مجلز ، وعن عكرمة ، وقتادة الذي قصرها على اليهود . واختاره القرطبي (٢١٨٧) .

۞ **القول الثالث** : وهو قول الشعبي من أنه عنى بالكافرين أهل الإسلام ، وبالظالمين والفاسقين النصارى . راجع « الطبري » (٦/١٤٨) .

۞ **القول الرابع** : ويذهب أصحابه إلى تخصيص كل صفة بفريق من الناس .

فيروى عن البراء بن عازب أن ﴿ الْكَافِرُونَ ﴾ ، و﴿ الظَّالِمُونَ ﴾ اليهود . و﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾ للكفار كلها . راجع « الطبري » (٦/١٤٧) .

ويروى عن ابن عباس وجابر بن زيد وابن أبي زائدة وابن شبرمة ، وهو اختيار ابن العربي أن ﴿ الْكَافِرُونَ ﴾ للمشركين ، و﴿ الظَّالِمُونَ ﴾ للنصارى . راجع « أحكام القرآن » لابن العربي (٢/٦٢٤) .

۞ المعنى المقصود بقوله تعالى : ﴿ الْكَافِرُونَ ﴾ ، و﴿ الظَّالِمُونَ ﴾، و﴿ الْفَاسِقُونَ ﴾ : اختلفت الأقوال في المقصود بهذه الأوصاف ، فمن قال : إن الآيات نزلت في الكفار أو في أهل الكتاب ، فإن هذه الأوصاف تؤخذ على حقيقتها وظاهرها ؛ لأن أهل الكتاب

بدلوا أحكام اللّه سبحانه ، ووضعوا أحكامًا من عندهم يزعمون أنها أحكام اللّه تعالى ، ويحكمون بها على هذا الزعم ، فهؤلاء لا شك في كفرهم .

أما من قال بانطباق هذه الأوصاف على المسلمين ، فقد اختلفوا في خصوص هذه الألفاظ على أقوال :

۞ **الأول** : أن جحد أحكام اللّه تعالى ، أو حكم بغير ما أنزل اللّه تعالى ، ثم قال : هذا حكم اللّه ، أو كتم حكم اللّه وأظهر حكمًا من عنده على أنه حكم اللّه تبارك وتعالى فهو كافر كما كفرت بنو إسرائيل ، أما إن حكم به هوى ومعصية فلا يكون كافرًا ، وإنما يكون عاصيًا ، وأمره إلى اللّه تعالى ، إن شاء عذبه ، وإن شاء غفر له . « الطبري » (٦/١٤٧، ١٤٩) .

۞ **الثاني** : قال طاوس وغيره : ليس بكفر ينقل عن الملة ، ولكنه كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم ، وفسق دون فسق . « الطبري » (٦/١٤٨) .

۞ **الثالث** : كل من لم يحكم بما أنزل اللّه سبحانه معتقدًا له ومستحلاً له فهو من الكافرين . وروي هذا القول عن عبد اللّه بن مسعود ، والحسن .

۞ **الرابع** : عزي إلى ابن عباس ، رضي اللّه عنهما ، أنه قال : ومن لم يحكم بما أنزل اللّه فقد فعل فعلاً يضاهي أفعال الكفار .

۞ **الخامس** : قيل : من لم يحكم بجميع ما أنزل اللّه تعالى فهو كافر ، فأما من حكم بالتوحيد ولم يحكم ببعض الشرائع فلا يدخل في الآية .

۞ **السادس** : أن من أعرض عن الحكم بما أنزل اللّه سبحانه ؛ ردًا له لاستقباحه وتفضيل غيره من أوضاع البشر عليه فهو كافر قطعًا . ومن لم يحكم به مع الإيمان به ، ولكن لعلة أخرى فهو ظالم إن كان في ذلك إضاعة لحقوق الخلق أو ترك العدل ، وإلا فهو فاسق . « القرطبي » (٢١٨٧) .

۞ **السابع** : ويرى أن هذه الأوصاف تحمل على ظواهرها ، وتجري في حق المسلمين الحكام والمحكومين إذا لم يحكموا بما أنزل اللّه تعالى ، وأقاموا شريعته كلها . فترك جزء من الشريعة كتركها كلها .

من يترك الشريعة أو بعض أحكامها فهو الكافر الظالم الفاسق ، ويذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة . « الظلال » (٢/٨٨٨) .

۞ **الرأي المختار** : أما عن الأمم التي تنطبق الآيات عليها ، فإن الرأي الأول القائل بعمومها هو الصحيح ، فهذه الآيات وإن وردت في سياق الكلام عن أهل الكتاب ، إلا أنها جاءت بصيغة العموم الذي لا يحتمل شكًّا في عمومه ، كما لم يرد له دليل التخصيص ، ولا شك أن أهل الكتاب يدخلون في عموم هذه الآيات من باب أولى .

ومن المقرر أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، وإن كان السبب يدخل في العموم من باب أولى ، وعلى ذلك فإن الآيات تنطبق أحكامها على كل من لم يحكم بما أنزل اللّه تعالى شأنه ، سواء كان من أهل الكتاب ، أو من المشركين ، أو من الأمة الإسلامية ، أو من غيرها من

الأمم ، وفي كل زمان ومكان ، حتى يرث اللّه الأرض ومن عليها .

بالإضافة إلى من خصص الآيات بقوم بأعيانهم ، أو خصص كل وصف بقوم بأعيانهم لا دليل معتبر لديه على هذا التخصيص ، وهو ما أدى إلى كثرة الأقوال في ذلك .

ثم من ناحية أخرى ، فهذه الأوصاف سبق أن وصف اللّه بها أهل الكتاب ، كما سبق أن وصف بها الأمة الإسلامية في حالة الخروج على أحكام اللّه سبحانه ، فقد وصف أهل الكتاب بالكفر إن عملوا ببعض الأحكام التكليفية وتركوا البعض ، ووصفهم بالإشراك به تعالى ، واتخاذهم الأحبار والرهبان أربابًا من دون اللّه تعالى في طاعتهم لهم في التحليل والتحريم .

ووصف المسلمين بالشرك إن أطاعوا الكفار في استباحة كل ما لم يذكر اسم اللّه تعالى عليه ، ووصفهم بالظلم وبالخلود في النار إن تعدوا حدود اللّه تعالى في قسمة المواريث وفي إقامة أحكام نظام الأسرة في الطلاق والخلع وغيرهما ، كما نفى سبحانه الإيمان عمن لم يتحاكم إلى رسول اللّه ﷺ ، أو لم يذعن لحكمه ﷺ .

❁ **أما المسألة الثانية :**

وهي : هل تحمل هذه الأوصاف على ظاهرها ؟ أم يتعين أخذها على وجه التأويل ؟

فإن جمهور الفقهاء والمفسرين - وهو ما نراه - أخذوا بأحاديث مخصصة لمعاني هذه الآيات ، وللآيات التي تماثلها فيما ورد بها من أوصاف قد اتفقوا على أن صفة الكفر الواردة بهذه الآيات يوصف بها كل من يجحد حكم اللّه تعالى فيحكم بغيره جاحدًا ، أو يستقبح حكم اللّه تعالى فيحكم بغيره مفضلاً غيره عليه ، أو يعتقد أن أحكام البشر هي واجبة التطبيق دون أحكام اللّه تعالى ، أو يحكم بأحكام من عنده ، مدعيًا أنها من أحكام اللّه تعالى ، حال كونها مخالفة لأحكام اللّه تعالى ، أو يرد أحكام اللّه تعالى معلنًا أنه لا يقبلها ولا يلتزم بها ، ولا يصح تطبيقها .

فكل من يحكم بغير ما أنزل اللّه سبحانه - على هذا النحو - فإنه يكون كافرًا خارجًا عن ملة الإسلام ؛ لأنه بفعله ذلك يكون إما كافرًا باللّه وبرسوله ، أو كافرًا بالقرآن الكريم والسنة النبوية ، أو كافرًا بأحدهما .

❁ هذا عن الكفر ، أما عن الظلم والفسق فهل وردا في هذه الآيات بمعنى الكفر ؟ أو وردا بمعنى مغاير ؟

في آيات القرآن الكريم يوصف أحيانًا الكفار بالظلم وبالفسق ، كما يوصف العصاة من المسلمين بهذين الوصفين ، فما المعنى الذي ورد به الظلم والفسق في هذه الآيات ؟

ذهب بعض المفسرين إلى أن وصف الظلم والفسق لكل منهما معنى مغاير عن معنى الكفر ، وهو ما نراه ؛ لأن وجود هذه الأوصاف في آيات متتالية لفعل واحد هو ﴿ لَمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ﴾ يدل على مغايرة في المعنى ، وحمل اللفظ على الابتداء في المعنى ، أولى من حمله على التأكيد .

ومما يؤيد هذا النظر أنه قبيل قوله تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ . ذكر سبحانه وتعالى في الآية نفسها : ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ ، مما يفيد أن الحكم بغير ما أنزل اللّه تعالى تبديلاً لحكم اللّه تعالى ، إما مخافة الناس

وخشية منهم ، أو مقابل أموال سحت دفعت لهذا الكافر ، وهو ما لم يذكر في شأن الظالمين والفاسقين ، ومن ثم استحق الأول وصف الكفر دون الباقين.

۞ وقول بعض المفسرين : إن الظلم يوصف به من حكم بغير ما أنزل اللّه مع الإيمان به إذا أضاع بحكمه حقوق العباد ، أما إن حكم بغير ما أنزل اللّه مع الإيمان به ، دون إضاعة هذه الحقوق فيكون فاسقًا ، هذا القول أولى بالاتباع ؛ لأن الظلم في أصل معناه اللغوي وضع الشيء في غير موضعه ، فمن يمنع الحق عن صاحبه ، أو يعطيه لغير مستحقه فقد وضعه في غير موضعه ، فيكون أولى بإطلاق وصف الظلم عليه ، والفسق هو الخروج عن حَجْر الشرع ، وهو يقع بالكثير من الذنوب والقليل ، وكثيرًا ما يقال : الفاسق لِمَن التزم حكم الشرع وأقر به ، ثم أخلَّ بجميع أحكامه أو ببعضه ؟! « المفردات » الأصفهاني (٣٨٠) .

وعلى ذلك فأولى إطلاق وصف الفاسق على من أقر بحكم اللّه سبحانه ، غير أنه لم يحكم به ما دام لم يضيع بذلك حقًا للعباد .

وللحديث بقية إن شاء اللّه .

الحرب

بقلم فضيلة الشيخ / محمد حسان

الحمد للّه ، والصلاة والسلام على رسول اللّه ، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ، وبعد :

فإننا نعيش أيامًا قد كُلف فيها الذئاب برعي الأغنام !!

وراعي الشاةِ يحمي الذئب عنها
فكيف إذا الرعاةُ لها الذئاب !!

وقد وصف الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى هذه الأيام وصفًا دقيقًا ، كما في الحديث الذي رواه أحمد وابن ماجه والحاكم من حديث أبي هريرة ، رضي اللّه عنه ، أن النبي ﷺ قال : « سيأتي على الناس سنواتٌ خدَّاعاتٌ ، يُصدَّقُ فيها الكاذب ، ويُكذَّب فيها الصادقُ ، ويؤتمنُ فيها الخائنُ ، ويُخوَّنُ فيها الأمينُ ، وينطقُ فيها الرُّويبضةُ » . قيل : وما الرُّويبضةُ ؟ قال : « الرجلُ التافه يتكلَّمُ في أمر العامَّةِ » . نعم ، فلقد تكلم التافهون والسفهاءُ في أمر العوام ، بل في أصول وثوابتِ الإسلام !!

فها نحن نشهدُ في السنواتِ الماضية ، حربًا سافرةً فاجرةً على أصول وثوابتِ هذا الدين ، يتولى كبرها دعاةً على أبواب جهنم في أنحاء العالم الإسلامي ، ومكمنُ الخطر أنهم يُشعلون الحرب على الإسلام باسم الإسلام !! ويهدمون أصول الدين باسم الدين !! وذلك بأسلوب خبيث لا ينتبهُ لخطرهِ كثيرٌ من الناس !!

وقد وصفهم النبي ﷺ وصفًا دقيقًا في حديثه الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث حذيفة بن اليمان ، رضي اللّه عنه ، قال : كان الناسُ يسألون رسول اللّه ﷺ عن الخير ، وكنتُ أسألُه عن الشر مخافةَ أن يدركني ، فقلت : يا رسول اللّه ، إنا كنا في جاهلية وشر ، فجاءنا اللّه بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : « نعم » . قُلْتُ : وهل بعد ذلك الشرِّ من خير ؟ قال : « نعم ، وفيه دخن » . قلت : وما دخنه ؟ قال : « قومٌ يهدون بغير هديي ، تَعرف منهم وتُنكر » . قُلْتُ : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : « نعم

على الثوابت

دعاةٌ على أبـواب جهنـم ، مـن أجابهم إليها قذفوه فيها)) . قلت : يا رسول الله ، صفهم لنـا ، قـال : ((هم من جلدتنا ، ويتكلمون بألسنتنا)) . قلتُ : يا رسول الله ، فما تـأمرني إن أدركنـي ذلك ؟ قـال : ((تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)) . قلتُ : فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام ؟ قـال : ((فـاعتزل تلـك الفرق كلها ، ولـو أن تعضَّ بـأصل شـجرة حتـى يدركك الموت وأنت على ذلك)) .

فلا يزال الإسلام وأهله من هذا الصنف الخبيث فـي محنة وبلية ، ومع ذلك فهم يزعمون أنهم المجددون والمصلحون ، وصدق اللَّه سبحانه وتعالى إذ يقول : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ قَالُواْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ❁ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَـكِن لاَّ يَشْعُرُونَ ❁ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُواْ أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاء أَلا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاء وَلَـكِن لاَّ يَعْلَمُونَ ❁ وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ آمَنُواْ قَالُواْ آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُواْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ❁ اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ❁ أُولَـئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوُاْ الضَّلاَلَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴾ [البقرة : ١١- ١٦] ، وأنَّى لهم الهدى ؟!

وهم يعلنون الحربَ السافرةَ الفاجرة على الإسلام ، لا على الفروع والجزئيات ، بل على الأصول والكليات !! بلا خجل أو وجل !!

فما أكثر الحروب التي أُعلنت على الإسلام منذ أن بزغ فجره واستفاض نوره ، ولكننا نشهد الآن حربًا من نوع جديد تستهدفُ أصول وثوابت هذا الدين على أيدي رجال هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، أولئك الذين يُسمَّون بالنخبة من أدعياء التحرير والتنوير والثقافة والفن والعلم والأدب .

إننا نشهد الآن حربًا عاتية سافرة على أصول وثوابت هذا الدين من هؤلاء الذين أحيطوا بهالة من الدعاية الكاذبة ، ولُقبوا بأفخم الألقاب والأوصاف ، التي تغطي جهلهم وانحرافهم ، وتنفخ فيهم ليكونوا شيئًا مذكورًا ، بليِّ أعناق الناس إلى أفكارهم الخبيثة ليًّا ، وهم في الحقيقة كالطبل الأجوف ، يُسمعُ من بعيدٍ وباطنه من الخيرات فارغ !!

وهذه الحرب السافرة تتم عبر خطوات منظمة ، ووفق مراحل محددة ، وهذه الخطوات حسب تقديري على النحو الآتي :

أولاً : التفخيم المستمر المتعمد للعقل ومكانته مع التقليل والاستهانة الشديدة بالنص ومكانته ، مهما كانت درجة ثبوته من الناحية العلمية ، بل وطالبوا - صراحة - بإعادة النظر في القاعدة الأصولية التي أجمعت عليها الأمة ، والتي تقول : (لا اجتهاد مع النص) . طالبوا بإعادة النظر في

هذه القاعدة بدعوى أنها تصادر حق العقل في النظر والاجتهاد ، وقالوا : من حق العقل أن يجتهد حتى مع وجود النص ، ولو كان في القرآن والسنة !! ومن ثم فهم يسقطون أيَّ نص تنكره عقولهم النيرة !! ومحال أن يتعرف العقلُ وحده على حقائق الإيمان وأركان وأصول هذا الدين إلا عن طريق النص القرآني والسنة النبوية ، ثم انتقلوا من هذه المرحلة إلى مرحلة التشكيك فيمن نقل إلينا هذه النصوص وهم الصحابة ، رضي الله عنهم .

ثانيًا : الطعن في الصحابة ، رضي الله عنهم ، وتشويه صورهم ، والقدح في عدالتهم لإبطال القرآن والسنة ؛ لأن الذي نقل إلينا الدين عن رسول الله ﷺ هم أصحابه ، رضوان الله عليهم ، فإن الطعن في الصحابة هدمٌ للدين !! فيقول أحد هؤلاء الضُّلال في كتابه « شدو الربابة في أحوال الصحابة » ، يقول كلامًا فاجرًا خبيثًا ، ويصف فيه الصحابة ، رضي الله عنهم ، بكل عيب وأنهم كانوا يمثلون مجتمعًا متحللاً مشغولاً بالرذائل والهوس الجنسي !!

ثم قال هذا الخبيث : (ولم تكن التجاوزات مقصورة على مشاهير الصحابة ، بل تعدتهم إلى صحابيات معروفات) .

ويتحدث هذا الأفاك عن النبي ﷺ بكل غلظة وفظاظة وسوء أدب ، فلا يذكر النبي ﷺ إلا باسمه المجرد ، فيقول في كتابه الخبيث « مجتمع يثرب » ، يقول : (ونظرًا لأن التقاء الذكر بالأنثى ، والأنثى بالذكر كان طقسًا يوميًا من الطقوس الاجتماعية المعتادة في مجتمع يثرب ، فقد اضطر محمدٌ دفعًا للحرج أن يبيح لهم أن يسيروا في المسجد وهم جنب) .

وهكذا تبين كلماتهم فساد طويتهم وخبث عقيدتهم !!

يقول الإمام مالك بن أنس : من وجد في قلبه غيظًا على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابه قول الله تعالى : ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ﴾ [الفتح : ٢٩] .

وقال الإمام الحافظ أبو زرعة : إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فاعلم بأنه زنديق .

وقال الإمام الطحاوي : ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ، ونبغض من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم ، فمحبتهم دين وإيمان وإحسان ، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان .

نعم ، فالذي اختار الصحابة وزكاهم هو الله ، والذي شهد لهم وعدَّلهم هو رسول الله ﷺ ، وأكتفي بآية وحديث ؛ قال الله عز وجل : ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [التوبة : ١٠٠] .

وفي « الصحيحين » من حديث أبي سعيد الخدري ، أن النبي ﷺ قال : « لا تسبوا أصحابي ، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحُد ذهبًا ، ما بلغ مُدَّ أحدهم ، ولا نصيفه » .

فبعد هذا التكريم يأتي هذا الخبيث وأمثاله لينتقصوا من قدر هذه القمم الشماء ، ووالله لا أدري لهم مثلاً إلا كمثل ذبابة صغيرة سقطت على نخلة عملاقة .

ثالثًا : التطاول على سنة النبي ﷺ وإنكارها والقول بعدم حجيتها ؛ بدعوى أن فيها الضعيف والموضوع ، وأنها تتعارض مع كثير من نصوص القرآن الكريم ، وأن الإسلام هو القرآن فقط دون السنة !!

وقد نقل الإمام ابن حزم إجماع الأمة على أن من أنكر السنة فقد كفر .

رابعًا : التطاول على القرآن وعقيدة التوحيد ؛ فهذا الذي قد حكم القضاء المصري أخيرًا بردته ، يعتبر القرآن نصًا بشريًا ، لا قدسية له ، وأن عقيدته مؤسسة على الأساطير الشائعة ، ويقول

هذا الخبيث – الذي لا يزال يتباكى عليه أمثاله من الخبثاء الحاقدين على الإسلام – في كتابه « نقد الخطاب الديني » : (ما زال الخطاب الديني يتمسك بوجود القرآن في اللوح المحفوظ اعتماداً على فهم حرفي للنص ، وما زال يتمسك بصورة الإله الملك بعرشه وكرسيه وصولجانه ومملكته وجنوده من الملائكة ، وما زال يتمسك بالدرجة ذاتها من الحرفية عن الشياطين والجن والسجلات التي يُدون فيها الأعمال ، والأخطر من ذلك تمسكه بصور العقاب والثواب ، وعذاب القبر ونعيمه ، ومشاهد القيامة والسير على الصراط ، إلى آخر ذلك كله من تصورات أسطورية) !!

وهذا رائد خبيث من رواد هذا الجيل يقول : (القرآن قابل للنقد باعتباره كتاباً أدبياً) !! ويقول : (وجود إبراهيم وإسماعيل ، عليهما السلام ، أمرٌ مشكوك فيه ، ولو ذُكروا في التوراة والإنجيل والقرآن ، فلسنا ملزمين بتصديق أي منها) أي من الكتب الثلاثة !!

خامساً : التطاول على ذات الله عز وجل !! هل تصدقون ؟!

فهذا ضالٌ خبيثٌ من سوريا لازالت كتبه تطبع ودواوينه تُنشر إلى الآن ، يقول في ديوان له : (لا اللّه أختار .. ولا الشيطان أختار .. كلاهما جدار .. كلاهما يغلقُ لي عيني فهل أبدل الجدار بالجدار) !! تعالى اللّه عما يقول هذا الظالم علواً كبيراً .

ويقول في كتاب من كتبه الخبيثة : (اللّه في التصور الإسلامي التقليدي نقطة ثابتةٌ متعالية منفصلةٌ عن الإنسان ، لكن التصوف على مذهب الحلاج ذوّب ثبات الألوهية وأزال الحاجز بينه وبين الإنسان ، وبهذا المعنى ، قتل اللّه وأعطى للإنسان طاقاته) !! ﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٠]

ويقول هذا الضال أيضاً في مجموعته الشعرية : (يا أرضنا يا زوجة الإله والطغاة) .

ويقول فيها أيضاً : (نمضي ولا نصغي لذلك الإله تقنا إلى ربٍّ جديد سواه) !!

سبحان الحليم الصبور .. على كل شيطان كفور !!

وهذا ضالٌ آخر من العراق يقول في ديوانه : (اللّه في مدينتي يبيعه اليهود .. اللّه في مدينتي مشردٌ طريد) . ويقول : (اللّه مات .. وعادت الأنصاب) . ويمعن في كفره فيقول : (يسقط كل شيء الشمس والنجوم والجبال والوديان والأنهار والبحار والشيطان واللّه والإنسان) !!

وهذه أمثلة أخرى من فلسطين الذبيحة : يقول أحدهم في إحدى قصائده :

نامي فعين اللّه نائمة
عنا وأسرابُ الشحارير

ويقول آخر : (وآخرُ ديك قد صاح ذبحناه .. لم يبق سوى اللّه .. يعدو كغزال أخفر تتبعه كلُّ كلاب الصيد .. ويتبعه الكذب على فرس شهباء .. سنطارده سنصير له اللّه) !!

وهذا آخر من اليمن يقول في قصيدة له : (صار اللّه رماداً صمتاً رعباً في كف الجلادين .. صار حقلاً ينبت مسابح وعمائم) !!

﴿ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾ [الإسراء : ٤٣] .

هذا الكم المزعج والمقزز من المقولات الكفرية إنما هو للرموز البارزة جداً في الوطن العربي والإسلامي ، من رواد الأدب والثقافة ، ممن يشكلون عقول أبناء الأمة ، ويديرون فيها دفة التوجيه والتربية !!

ولا يمكن بحال أن نستقصي أقوالهم الخبيثة ، فهي كثيرة بكثرة الحقد الذي يغلي في قلوبهم على الإسلام والمسلمين ، ولا يمكن أيضاً أن نستقصي ما يبث وما ينشر للأجيال الشابة الصاعدة والتي تربت وتتلمذت على أيدي هؤلاء الخبثاء !!

والسؤال الملحّ الآن : ما المخرج من هذه الفتن ؟!

والجواب :

أولا : تحكيم الشريعة وإقامة حدّ الردة على هؤلاء الخبثاء وأمثالهم ؛ لأن القوانين الوضعية كانت أخطر أسباب انتشار هذه الرِّدة ؛ لأنها لا تعاقب من خرج وارتد عن الإسلام ، في الوقت الذي تعاقب فيه من خرج على القانون .

فهذا المرتد يعلن ردته ، ويستخف بعقيدة الأمة ودينها ، وإعلانه للردة يحدث في المجتمع الإسلامي نوعًا خطيرًا من الفوضى التي تدك قواعده بفتحه الباب للمنافقين وضعاف العقيدة في متابعته على ردته ، لذا فإن الشريعة الإسلامية العصماء لم تتساهل مع هذا الصنف الخبيث ، وإنما أمرت بإمهاله ثلاثة أيام ، فإذا رجع عن ردته وتاب سقط العقاب ، وإن أصر يقتله ولي الأمر أو من ينوب عنه .

روى البخاري ومسلم عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال : « لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله ، وأني رسول الله ، إلا بإحدى ثلاث : النفسُ بالنفس ، والثيب الزاني ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » .

وفي « صحيح البخاري » من حديث ابن عباس ، رضي الله عنهما ، أن النبي ﷺ قال : « من بدل دينه فاقتلوه » .

ثانيًا : وجوبُ طلب العلم والعمل به ، فلا مخرج لك أيها المسلم من هذه الفتن الحالكة - فتن الشبهات - إلا أن تستعين بالله عز وجل ، وتطلب العلم الشرعي من العلماء المتحققين به .

فالعلم هو النور الذي سيبدد لك هذه الظلمات ، فمن سلك طريقًا بغير دليل ضل ، ومن تمسك بغير الأصول زل ، والدليل المنير لك في الظلماء ، والأصل العاصم لك من جميع الأهواء هو العلم . فبالعلم تتعرف على عقيدتك وعبادتك وشريعتك .

وبالعلم تتعرف على فتن الشهوات والشبهات ، وبالعلم تتعرف على الحلال والحرام ، وعلى السنة والبدعة ، وعلى الحق والباطل ، وبالعلم تتعرف على معنى الولاء لله ولرسوله والمؤمنين ، وعلى معنى البراء من الشرك والمشركين ، وبالعلم تتعرف على أعداء الأمة في الخارج والداخل ، وتستطيع أن تقف على حجم المؤامرة التي تحاك للأمة في الليل والنهار .

ثالثًا : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ؛ لقول رسول الله ﷺ من حديث أبي سعيد ، رضي الله عنه ، الذي رواه مسلم : « من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان » . وقال تعالى : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ... ﴾ [آل عمران : ١٠٤] .

وذلك لنصل إلى الخيرية التي وعد الحق بها في قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ [آل عمران : ١١٠] ، وحتى لا نستحق اللعن كالذين كفروا ، فقد قال تعالى : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ۞ كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [المائدة : ٧٨، ٧٩] .

رابعًا وأخيرًا : الدعوة إلى الله عز وجل وتبصيرُ الناس بالحق وتعريةُ الباطل وأهله !! فإذا كان أهل الباطل يتحركون للدعوة إلى باطلهم بكل قوة وفي كل مكان ، فحريٌّ بأهل الحق أن يتحركوا لحقهم الذي من أجله خلق الله السماوات والأرض والجنة والنار ، ولأجله أنزل الله الكتب وأرسل الرسل . فوالله ما انتشر الباطل وأهله إلا يوم أن تخلى عن الحق أهله !!

فإذا حكمنا شرع الله ، وتعلمنا وعلمنا بالعلم الشرعي ، وأمرنا بالمعروف ، ونهينا عن المنكر ، ودعونا إلى الله على بصيرة انكسرت أمواج هذه الردة على صخرة الإيمان .

وصلى الله على حبيبنا ورسولنا محمد وآله وصحبه .

لكل عمل شرة
ولكل شرة فترة

كتبه الشيخ :
أسامة علي سليمان

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

فإن التعرف على طريق الدعوة إلى الله وبيان معالمه وآفاته من الأهمية بمكان للسالكين والعاملين على هذا الطريق ؛ كي يعدوا للأمر عدته ويستعدوا لكل شيء بأهبته ، فالله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ [يوسف : ١٠٨] .

ومن الآفات الخطيرة في طريق الدعوة إلى الله وطريق النجاة ؛ ظاهرة الفتور في طلب العلم والعبادة والدعوة إلى الله ، فما هو الفتور ؟ وما هي أسبابه وآثاره وكيفية علاجه ؟

عرف بعض العلماء الفتور بأنه الكسل والتراخي والتباطؤ بعد النشاط والجد والحيوية ، وعرفه الراغب بقوله : هو سكن بعده حدّة ، ولين بعد شدة ، وضعف بعد قوة .

ولقد جاء ذكر الفتور في القرآن في مواضع عديدة ؛ منها :

١- قوله سبحانه : ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ ۞ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ ﴾ [الأنبياء : ١٩، ٢٠] .

٢- قوله سبحانه : ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ۞ لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٤، ٧٥] .

٣- قوله سبحانه : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [المائدة : ١٩] .

٤- وقوله سبحانه : ﴿ وَلاَ تَسْأَمُوْاْ أَن تَكْتُبُوْهُ صَغِيرًا أَو كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْومُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلاَّ تَرْتَابُواْ ﴾ [البقرة : ٢٨٢] .

وكذلك ذكر الفتور في سنة النبي ﷺ ، ومن أمثلة ذلك :

١- حديث أنس ، رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ دخل المسجد فوجد حبلاً ممدودًا بين ساريتين ، فسأل النبي ﷺ عنه ، فقالوا : لزينب ، فإذا فترت تعلقت به ، فأمر ﷺ بحلّه ، وقال : ((ليصل أحدكم نشاطه ، فإذا فتر فليقعد)) . متفق عليه .

٢- وعن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، قال : كانت مولاة للنبي ﷺ تصوم النهار وتقوم الليل ، فقيل له : إنها تصوم النهار ، وتقوم الليل ، فقال ﷺ : ((إن لكل عمل شرة ، ولكل شرة فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد ضل)) . متفق عليه .

والشرة : يعني الجد والنشاط والحيوية .

٣- عن عائشة ، رضي الله عنها ، أن النبي ﷺ دخل عليها وعندها امرأة ، فقال : ((من هذه ؟)) قالت : فلانة لا تنام ، فذكرت من صلاتها ، فقال : ((مه ، عليكم بما تطيقون ، فوالله لا يمل الله عز وجل حتى تملوا ، ولكن أحب الدين إليه ما داوم عليه صاحبه)) .

ومن أقوال السلف ، رضوان الله عليهم ، قول ابن القيم ، رحمه الله : (تخلل الفترات للسالكين أمر لا بد منه ، فمن كانت فترته إلى مقاربة وتسديد ولم تخرجه من فرض ولم تدخله في محرم رُجي له أن يعود خيرًا مما كان) .

وقال علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه : إن النفس لها إقبال وإدبار ، فإذا أقبلت فخذها بالعزيمة ، وإذا أدبرت فاقهرها على الفرائض والواجبات .

ولما مرض ابن مسعود ، رضي الله عنه ، بكى فقال : إنما أبكي ؛ لأنه أصابني على حال فترة ، ولم يصبني على حال اجتهاد . ((النهاية في غريب الحديث)) لابن الأثير .

وللفتور أسباب عديدة ؛ منها :

١- الغلو والتشدد والانهماك في الطاعات وحرمان الجسد حظه من الراحة والطيبات ، فهذا يؤدي حتمًا إلى الملل والضعف ، ومن ثم الانقطاع والترك ؛ لذلك قال ﷺ : ((هلك المتنطعون)) . وبنو

إسرائيل شددوا فشدد الله عليهم .

ولقد حذرنا ﷺ من الغلو فقال : ((إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين)) . رواه أحمد في ((مسنده)) .

٢- الإسراف والتجاوز في تعاطي المباحات ، ولذلك حذرنا سبحانه وتعالى من الإسراف ، فقال : ﴿ وكُلُوا واشْرَبُوا ولا تُسْرِفُوا إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف : ٣١] .

فالشبع يؤدي إلى التخمة ، والسمنة تؤدي إلى التثاقل والكسل والتراخي ، ولذلك يقول عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه : إياكم والبطنة في الطعام والشراب ، فإنها مفسدة للجسد ، مورثة للسقم ، مكسلة عن الصلاة ، وعليكم بالقصد فيهما ، فإنه أصلح للجسد وأبعد عن السرف . ((كنز العمال)) .

وقال سليمان الداراني : من شبع دخل عليه سبع آفات : فقد حلاوة المناجاة ، وتعذر حفظ الحكمة ، وحرمان الشفقة على الخلق ، وثقل العبادة ، وزيادة الشهوات ، وأن سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون حول المزابل .

٣- حب العزلة والخلوة والتفرد ومفارقة الجماعة .

فإن الشيطان مع الواحد ، وهو من الاثنين أبعد ، ومن يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرًا من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم ؛ ولذلك قالوا : الكدر مع الجماعة خير من الصفو مع الفرد .

٤- الانشغال بالدنيا وعدم تذكر الموت والآخرة .

فزيارة القبور تذكر بالآخرة وتزهد في الدنيا ، وفيها من العبر الكثير ؛ ولذلك حثنا النبي ﷺ على زيارتها ، فقال ﷺ : ((كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ، فإنها تزهد في الدنيا ، وتذكر الآخرة)) . ((سنن ابن ماجه)) .

وكذلك حثنا على تذكر هادم اللذات ومفرق الجماعات ((الموت)) ، فإن تذكره يدفع الإنسان للعمل والزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة .

٥- التهاون في عمل اليوم والليلة : ومن ذلك تضييع صلاة الجماعة والنوم عن الصلاة المكتوبة ، وإهمال بعض السنن الراتبة والذكر والاستغفار وأذكار الصباح والمساء ، كل ذلك يؤدي إلى الفتور ؛ لأنه عقوبة لذلك التهاون والتفريط .

٦- عدم تحري الحلال والوقوع في دائرة الحرام ، أو ما فيه شبهة ، وذلك في المطعم والملبس والمشرب والمركب ، ولذلك جاءت آيات القرآن الكريم تحث على أكل الحلال وتحريه ، والابتعاد عن الحرام ، يقول جل وعلا : ﴿ يا أيُّها النَّاسُ كُلُوا مِمَّا في الأرْضِ حَلالاً طَيِّبًا ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] ، ويقول سبحانه : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّبًا واشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إن كُنتُمْ إيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ [النحل : ١١٤] .

ويقول ﷺ : ((كل جسد نبت من حرام فالنار أولى به)) . رواه الترمذي .

٧- عدم الشمولية والاكتفاء على جانب واحد من جوانب الشريعة ؛ لأن الله عز وجل أمرنا بالدخول في الإسلام كافة والعمل بجميع شعب الإيمان وشرائع الإسلام ، فقال تعالى : ﴿ يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً ولا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨] ، فلا بد من التوازن في منهج التلقي والتطبيق .

٨- عدم مراعاة السنن الكونية ؛ فإن الله تبارك وتعالى له سنن لا تتخلف : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً ولَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر : ٤٣] ، ومن سننه سبحانه أن النصر يأتي بعد تحقق مقوماته ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ إن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ ويُثَبِّتْ أقْدَامَكُمْ ﴾ [محمد : ٧] ، فلا بد من نصر منهج الله أولاً حتى يتحقق النصر ، فتضييع بعض السنن والتجاوز في بعض الواجبات لا شك يؤخر النصر ، والتدرج في العمل والإعداد من سنن الله سبحانه ، ومن غفل سنن الله الكونية حتمًا سيؤدي ذلك إلى الفتور .

٩- التقصير في جانب على حساب جانب آخر وعدم مراعاة التوازن بين الحقوق ، فإن للبدن حقًا ، وللعين حقًا ، وللزوج حقًا ، وضياع أحد الحقوق

يؤدي إلى عدم التوازن ، ثم إلى الفتور ، ومن هنا جاء حديث النبي ﷺ : « إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حق حقه » . رواه البخاري .

١٠- عدم معرفة معالم الطريق والاستعداد لمعوقاته ، ومعرفة سبيل الدعوة وما فيها من بلاء ، وتمحيص وزلزلة ومعوقات أمر لا بد منه لمن سلكه حتى يكون على بصيرة بما سيواجه ، فلقد قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ في بدء البعثة : لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي . « صحيح البخاري » .

وقال جل شأنه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [البقرة : ١٥٥] .

وقال سبحانه : ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ [الأنفال : ٢٨] ، وقال سبحانه : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴾ [محمد : ٣١] .

١١- مصاحبة ذوي الهمم الفاترة والإرادات القاصرة ، فالمرء على دين خليله ، كما بين ذلك النبي ﷺ ، والصاحب ساحب ، والخليل يؤثر في الخليل بالسلب والإيجاب ، فإن مصاحبة أصحاب الهمم الفاترة تؤدي حتمًا إلى الفتور .

١٢- إهمال الأولويات في الدعوة إلى الله ، وتقديم الثانوي على الرئيسي ، والانشغال بالفرعيات عن القواعد ، ولذلك لما أرسل النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن حدد له طريق الدعوة بقوله ﷺ : « ليكن أول ما تدعوهم إليه لا إله إلا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في اليوم والليلة ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد إلى فقرائهم » . متفق عليه .

فالبدء بدعوة التوحيد هو أساس المنهج ومحور الارتكاز ، وهو سبيل الرسل والأنبياء في دعوتهم إلى الله .

١٣- التهاون بصغائر الذنوب والوقوع في المعاصي التي هي بريد الغفلة والفتور ، وكذلك حذرنا النبي ﷺ من محقرات الذنوب التي تجتمع على الرجل فتهلكه ، والمعاصي التي تجتمع على القلب فتؤدي به إلى الفتور حتمًا ، فالمعصية تجلب للقلب السواد شيئًا فشيئًا ، يقول سبحانه وتعالى : ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [المطففين : ١٤] .

وللفتور آثار على العمل وعلى العامل ، ومن آثاره على العاملين سوء الخاتمة ، التي قد يقبض عليها المرء .

فحسن الخاتمة أن ييسر الله لك الطاعة ، ثم يقبضك عليها ، أما آثاره على العمل منها طول الطريق وكثرة التكاليف .

ولظاهرة الفتور علاج ، فمن سبل علاج تلك الظاهرة :

١- مجانبة المعاصي والسيئات وعدم التهاون بصغائر الذنوب ؛ فالإصرار على الصغيرة كبيرة .

٢- المواظبة على أعمال اليوم والليلة من قراءة القرآن وصلاة الليل والنوافل والأذكار وكثرة الاستغفار .

٣- تحسس الأوقات الفاضلة والعمل على إحيائها بالطاعات . فهذا يؤدي إلى تنشيط النفس وتقوية الإرادة ، فيقول النبي ﷺ : « سددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة » . رواه البخاري .

٤- ملازمة الجماعة ، فكدر الجماعة خير من صفو الفرد .

٥- التحرر من التشدد والغلو ، فإن أحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل .

٦- مرافقة الصالحين ومصاحبة أصحاب الهمم العالية والإرادات القوية .

وصلِّ اللهم وسلم على النبي محمد وآله ، والله من وراء القصد .

قبل أن تغرق السفينة

أنقذوا الشباب

بقلم الشيخ / مجدي قاسم

إن الشباب هم اليومَ والغد ، هم عنوان مستقبل الأمة ومقياس تقدمها ، وقلبها النابض .. هم القوة الدافعة والشريحة الفعالة في الأمة ، وهم قوام هيكلها ورائد آمالها .. هم حماة الوطن والمنافحون عن حرمته ، فهم سياج روضه وحرزه المكين ، وهم السواعد التي تبني وتنتج ، وهم الروح الفعالة التي تدفع عجلة الحياة ، ويمثلون في الأمة هيكلها العضلي ، ولذا تقول حفصة بنت سيرين : (يا معشر الشباب ، اعملوا ، فإنما العمل في الشباب) .

وفترة الشباب هي أزهى وأزهر فترات العمر ، وأثمن أوقاته ، وفيها نضارة الشباب وزهوته وقوته وفتوته ، وهي دور من أهم أدوار العمر في أثناء تنقله بين مراحل العمر المختلفة ، وتمتد من أوائل العشرة الثانية إلى أواخر العشرة الثالثة من العمر ، وتشهد مرحلة الشباب في بدايتها نهاية الطفولة ، والانتقال إلى المراهقة والبلوغ ، وتشهد في أواخرها النضج الجثماني والرشد العقلي والخُلقي والالتزام الاجتماعي ، والشعور بالمسئولية والاستقلال في الحياة ، وسرعان ما يرتحل الإنسان منها وينسلّ إلى دور الرجولة فالكهولة فالشيخوخة .

لذا وجب على الإنسان أن يستغلها أحسن استغلال وينتفع بها أتم انتفاع ، قبل أن يولّي الشباب ويندم حيث لا ينفع الندم ، ولذا يقول الرسول ﷺ : ((اغتنمْ خمسًا قبل خمس : شبابَك قبر هَرَمِك ، وصحتَك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شُغلك ، وحياتك قبل موتك))(١) .

والشاب هو أول من عناه النبي ﷺ بقوله : ((نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس : الصحة والفراغ)) . رواه البخاري .

فقلما تجتمع هاتان النعمتان إلا للشباب ، وسرعان ما تزول عن الإنسان هاتان النعمتان أو إحداهما عندما يرتحل عن مرحلة الشباب فتصبح

---

(١) رواه الحاكم ، وصححه الألباني في « صحيح الجامع » (ح ١٠٧٧) .

من سرعة ارتحالها كطيف خيال . يقول أحمد بن حنبل : (ما شبهت الشباب إلا بشيء كان في كُمي فسقط) .

وسيُسأل كل إنسان عن هذه الفترة الخصبة من حياته : هل ضيعها فيما لا ينفع ولا طائل من ورائه ، أم انتفع بها ونفع مجتمعه وأُمته ؟ وهل أطاع الله فيها أم عصاه ؟ فقد قال رسول الله ﷺ : ((لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة من عند ربّه ، حتى يُسأل عن خمس : عن عُمره فيم أفناه ؟ وعن شبابه فيم أبلاه ؟ وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ؟ وماذا عَمِلَ فيما عَلِم ؟))(١) .

وهذه الفترة من العمر فيها اضطرام الشهوات وقوة الأعضاء ، وفورة الشباب وحدّته وجموحه ، وقوة الفتوة .. وقد يكون ذلك سببًا لانسياق الشباب وراء الشهوات والملذات ، والتكالب على مطامح الدنيا ومطامعها ، حيث يغلب على الشباب اتباعُ الهوى والميل إلى اللهو .

فمن استطاع أن يسمو على ذلك ويجاهد نفسه ويكبح جماحها ويصدها عن طرق الغواية ، وينتفع بشبابه في طاعة الله ، فذلك الذي عدّه النبي ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظله يومَ لا ظل إلا ظلّه ، فقال : ((.. وشاب نشأ في عبادة الله)) . متفق عليه .

فشرّ ما يصيب الأمم في صميم أحشائها انغماسُ شبابها في الملذات والشهوات ، والاندفاع في تيار الغواية والشهوة البهيمية والنزوات ، والمروق من شريعة العفاف والفضائل ، وغشيان مواطن اللهو والفسوق .. فعندئذ تنهار الأمم ، حيث يصيب الخَوَرُ والضعفُ عزائم أبنائها ، ويَسْهُل خضوعهم لأعدائهم ؛ فلن يأنفوا من هذا الخضوع والإذعان لطاعته ، بعد أن ألفوا الخضوع لتقاليده وقيمه ، وألفوا تقليده في المظهر والمخبر ، وما عاد هناك أدنى فارق في السمت الظاهر ، ناهيك عن الحماس المتقد في السير في ركابه واتباع سننه ، كما أخبر بذلك الرسول ﷺ ، حيث قال : ((لتَتَّبعنّ سَنَنَ الذين من قبلكم ، شبرًا بشبر ، وذراعًا بذراع ، حتى لو سلكوا جُحرَ ضَبٍّ لسلكتموه)) . قالوا : اليهودُ والنصارى ؟ قال : ((فمن ؟)) . متفق عليه .

وفي رواية : ((.. وحتى لو أنّ أحدهم جامع امرأته بالطريق لفعلتموه))(٢) .

إن أمة يحرص شبابها على صيانة أعراضها وعلى براءتها من عيوبها وبُعدها عن السيئات ، لهي على يقين جازم بأنهم قادرون - بإذن الله - على أن يدرءوا عنها - إذا قاموا بأمرها - مكائد الأعداء وحلول الداء وانتهاك الحرمات واستباحة المقدسات . وإن أمة هؤلاء هم شبابها لجديرة أن تعلو بين الأمم ، وأن تكون ذات منعة وقوة وبأس وعَلَم مرفوع وعزٌ منيع .

ولذا فيجب أن لا نستهين بالشباب وتربيته وتنشئته ، فعلى أكتافهم وبسواعدهم تتقدم الأمم وتعلو أو تنهار ، وهل أقيم هذا الدين وعلا بنيانُه إلا بهؤلاء الصحب الكرام ، رضوان الله عليهم أجمعين ، الذين التفوا حول رسول الله ﷺ وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أُنزل معه ؟ وهل كان هؤلاء الصحب الأُول في مجملهم إلا شبابًا ؟ فوقت البعثة النبوية ؛ كان عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ، يبلغ من العُمر (٢٧) عامًا ، وكان عُمْر عثمان بن عفان (٣٤) عامًا ، وكان أبو عبيدة بن الجراح (١٣) عامًا ، وكان سعد بن أبي وقاص (١١) سنة ، وكان عمر سعيد بن زيد قريبًا من ذلك ، وكان عُمْر علي بن أبي طالب عند إسلامه عشر سنوات ، وكان عُمْر الزبير بن العوام ثماني سنوات .

هذا ، وقد أسلم معاذ بن جبل وعُمْره ثماني عشرة سنة ، وولاّه النبي ﷺ على اليمن وكان عُمْره دون الثلاثين ، وقد ولىّ النبي ﷺ أسامة بن زيد إمرة الجيش في آخر حياته - وفيه من فيه من كبار الصحابة - وكان عُمْره (١٦) سنة ، رضي الله عنهم أجمعين ، وحشرنا الله في زمرتهم يوم الدين .

وإننا لنهيب بكل من وكل إليه تربية وتنشئة هؤلاء الشباب في أيامنا تلك : أن يتقوا الله في الشباب فيحسنوا هذه التربية وتلك التنشئة بما يحبه الله ويرضاه ، فيحسنوا اختيار ما يُربى عليه الشباب وما يُعرض عليهم

---

(١) رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في ((الصحيحة)) (ح ٩٤٦) ، و((صحيح الجامع)) (٧٢٩٩) .

(٢) رواه الحاكم ، وانظر ((الصحيحة)) (ح ١٣٤٨) .

من مواد ومناهج(١) ، والعناية بإعداد جيل جديد على علم وإدراك وفهم ووعي يتحمل مسئوليته بكفاءة واقتدار ، واستمرارية نقل التراث الإسلامي - إلى الأجيال الشابة والناشئة - بقيمه ومُثُله ومبادئه وأخلاقه السامية في منهجه الرباني الذي توارثناه عن أسلافنا العظام والذي يميزنا عن سائر أمم الأرض ، وتعليمهم الخصائص المميزة للأمة .

وعليهم أن ينتبهوا لما يُراد بهذه الأمة ، بل ما يُراد بالإسلام والمسلمين من تمييع شبابنا ، وتشويه ومسخ عقله وأفكاره ، وإثارة الشبهات حول عقيدته ، وإزالة قواعد الإيمان في قلبه ، والاستخفاف بتاريخه وحضارته ، بل وتحقير ذلك في نظره .. وبتر صلته بهذا الدين القويم وبرجالاته الغُرّ الميامين ، وإخراج جيل مسخ مشوه ضائع تائه لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ولا يصلح لشيء ، فلا هو قادر على الإنتاج والبناء ، ولا يمكن الاعتماد عليه في الدفاع عن وطنه ، بله عن عرضه !

جاء في تحقيق صحفي للأستاذ / عزت السعدني بعنوان « الذئاب يعبثون » ، المنشور بجريدة الأهرام بتاريخ ١٩٩٩/٦/٥م :

● الفن الهابط في السينما وفي المسرح وفي التليفزيون .. مسلسلات تولع الجسم ، كما قال لي مراهق شاب .. أفلام كل ديكوراتها في حجرة النوم ، وبنات عرايا ، وإعلانات مستفزة مياصة ، ودلع وانفلات في الحركات والإيماءات والإشارات .. ولا أحد يُحاسب أحدًا .. وفنانات ومخرجات يدافعن عن الجنس علانية وعلى شاشة التليفزيون !!

● غياب القدوة الحسنة في حياتنا وغياب الوعي الديني ، ولم يعد هناك دور للمسجد .. والذي يذهب من الشباب إلى المسجد يقولون عنه : إنه متطرف .. والآباء يمنعون أبناءهم من الذهاب إلى المسجد خوفًا عليهم .. والبرامج الدينية في التليفزيون تقلصت أو تتقلص ، ولا تزيد إلا في رمضان .. ومادة الدين في المدارس من باب العلم بالشيء فقط ، ليس عليها درجات ، فلماذا نهتم بها ؟!

● المدارس لم تعد تربي ، والجامعات تحولت إلى علب سردين من كثرة الطلاب ، والمخدرات - وفي مقدمتها البانجو - انتشرت في المدارس !

● والأبحاث العلمية تقول : إن نحو ١٦٪ من شباب الجامعات مدمنون ، أما الباقون فمهتمون بالزواج العرفي ، حتى إن ٤٪ من الطالبات متزوجات عرفيًا ، وهو رقم أقل بكثير من الحقيقة المُرة ؛ لأن من تتزوج عرفيًا لا تعلن عن نفسها . اهـ .

إن المتربصين بالأمة وشبابها يبثون ويزرعون بذور ثقافتهم الفاسدة الفاجرة التي تناوئ المبادئ الإسلامية ، ويريدون بمخططاتهم المدروسة تذويب الحدود والسدود العقائدية والثقافية والأخلاقية بين أبناء أمتنا وبينهم لصالحهم ، وصبغهم بشخصيتهم ومحو الشخصية الإسلامية المميزة ، وانصهارهم في بوتقة الحياة الغربية ، بحيث يسهل انهيار كياننا القومي وزوال شخصيتنا الإسلامية من الوجود كما زالت أمم سابقة انمحت خصائصها وذهبت سماتها المميزة ، فما عاد يُرى لها أثر في الحياة .

ولذا لا بد أن تنظر الأمة نظرة كُرهٍ وعداء إلى كل من يريد أن يُربّي شبابنا على الاستهتار بالقيم والمُثل ، وتحطيم قيود الأخلاق والآداب ، والاستخفاف بالفرائض والواجبات ، وتزيين الثقافة الغربية العاهرة الفاجرة ، والولوع بالمجون والفجور ، والتقليد الأعمى لكل ما هو غربي في القشور والظواهر .

وعلى المسئولين أن يعلموا أن نهضتنا وتقدمنا ورفعتنا وعزتنا وسيادتنا لن تكون إلا بتميزنا بشخصيتنا الإسلامية واتباع تعاليم الإسلام ، وتعليم الشباب والناشئة : العقيدة الصحيحة الصافية الخالية من الشرك والخرافات والخزعبلات ، وتحصينه ضد الأفكار الهدامة والمبادئ الإلحادية ، والرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ، والتنبيه على قضية الولاء والبراء ، وتأصيلها وعدم السماح بتمييعها ، وتثبيت الأخلاق والقيم

---

(١) لمصلحة من يوضع الشباب في حيرة وقلق وتمزق نفسي بسبب الصراع الذي ينشأ بداخله من التناقض بين العقائد والحقائق والمبادئ والقيم والمُثل الإسلامية والغاية التي من أجلها خُلق (وهي عبادة الله وحده) ، وبين النظريات المستوردة من الشرق والغرب والحياة الغربية البهيمية التي تُزين له ؟!

الإسلامية وتبغيضهم في جميع المنكرات والموبقات والفواحش الأخلاقية ، وربطهم بسيرة النبي الكريم ﷺ الأسوة والقدوة وسيرة صحابته الكرام ، رضوان الله عليهم أجمعين ، وسيرة سلفنا الصالح من العلماء والفقهاء والقادة والمجاهدين والزهاد والعُبّاد(١) ، والانتفاع بالدروس والعبر والعظات من وراء ذلك مع الإلمام بتاريخهم الإيماني والمحن التي ألمت بهم وحُسن بلائهم وصبرهم ، وتاريخ جهادهم وفتوحاتهم ، ومعرفة عبادتهم وإخلاصهم واستقامتهم وزهدهم وتجردهم وتفانيهم وتضحياتهم ، وربط الشباب بماضينا المجيد ، وحثهم على العمل على إحيائه وإعادته بصورة مشرقة برّاقة إلى واقع الحياة ، وتربيتهم على التضحية والبذل والعطاء والجهاد والاستشهاد واسترخاص النفس والنفيس في سبيل الإسلام ورفعته ونشره في الآفاق ، وأيضًا تربيتهم على التميز من خلال تعريفهم ما يجب أن تكون عليه الشخصية الإسلامية ، وأن استمرار نقل التراث الحضاري الإسلامي بخصائصه المميزة إلى الأجيال القادمة ضرورة حتمية للإبقاء على كياننا وشخصيتنا ، وحمل هذا اللواء والدعوة إليه واجب مُلحّ من خلال كافة المؤسسات والهيئات التي لها صلة بالشباب ، وخاصة المعاهد التعليمية والتربوية من مدارس وجامعات ، ووسائل الإعلام المختلفة من راديو وتلفاز وصحف ومجلات وكتب ونشرات ، والنوادي الرياضية ودور الشباب .. إلى غير ذلك مما يؤثر ويكوّن عقلية الشباب وشخصيتهم .

ومما لا شك فيه أنه يوجد بين الشباب من استنارت قلوبهم بنور الإيمان واليقين ، ويقدرون حجم المسئولية والمهام الجسام الملقاة على كواهلهم ، وعلى استعداد لبذل المهج والأرواح والنفس والنفيس وكل مرتخص وغال عن طواعية في سبيل عقيدته ومبادئه ؛ لينالوا رضى المولى تبارك وتعالى ، وليستحقوا سعادة الدارين ، ولينقذوا أنفسهم وأهليهم من النار ، ولينهضوا ويرقوا بأمتهم دون النظر لكسب دنيوي زائل من مال أو منصب أو جاه ، ويعلمون ما يُحاك بهم ومن حولهم ، ويعرفون واجبهم وما أُنيط بهم ، ويؤدونه بوعي وهمة وَنشاط لا يعرف الكلل ولا الملل ، ويشقون طريقهم في الأشواك والأخطار وفي الآلام والجراح(٢) ، وهم على علم ويقين أن طريق الجنة الذي يجب أن يسلكوه محفوف بالمكاره ، كما أخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال : ((حُفَّت الجنة بالمكاره ، وحُفَّت النار بالشهوات)) . فالحياة الموصلة إلى الجنة إنما هي جد واجتهاد وكفاح وبذل وتضحية ، طريق لا يعرف العبث ولا يَثْبُت فيه إلا الشديد القوي !

ولكن .. أقولها والقلب يتقطع حسرات ، وتكاد العين تذرف دمًا : فوا أسفى إذ نشأ معظم شباب اليوم نشأة ناعمة رقيقة مترفة ، فنشأ لا صبر عنده ولا جلد ، ولا تماسك ولا ثبات ، ولا خشونة ولا فتوة .. حياته لهو وعبث .. وغناء ورقص .. فوضى وتفسّخ ، وربما مجون وفجور ، وجهل فاضح بالإسلام وتعاليمه ، ولا دينية في التفكير والسلوك ، تزعزع في العقيدة ، وردة في الفكر ، واضمحلال لقيم ومبادئ وأخلاقيات الإسلام في نفوسهم ، وتكالب على الشهوات والملذات .. حياة بهيمية لا صلة لها بحياة المسلمين !

أصبحوا معاول هدم في بناء الإسلام الشامخ ، أو كألواح نخرة في سفينة في عرض البحر ، إن لم نسرع بإصلاح ما اهترأ منها وتفسّخ غرقت السفينة بمن فيها وما فيها ، ولا نجاة حينئذ من هذا المصير الأليم كشأن سائر الأمم التي سبقتنا وخرجت عن منهاج ربّها .. فهذه سُنَّة ربانية من سُنن الله في خلقه ولا محاباة فيها ولا مناص .

فهل ننتبه قبل أن تغرق السفينة ، ويصرخ الجميع معي قبل فوات الأوان : أنقذوا الشباب !

فهل من مجيب ؟ اللهم إني قد بلغت ، اللهم فاشهد .

---

(١) للأسف أكثر ما يجري على ألسنة شباب اليوم أسماء الممثلين والمطربين والراقصين واللاعبين ، ومن لا قيمة له ولا وزن في ميزان الإسلام : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

(٢) وربما يُحاربون من القريب قبل الغريب ، لغربتهم وقلتهم ، تلك الغربة التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله : ((بدأ الإسلام غريبًا ، وسيعود غريبًا كما بدأ ، فطوبى للغرباء)) .. فطوبى لهؤلاء الشباب في غربة الإسلام الثانية .

عقائد الصوفية في ضوء الكتاب والسنة

الخضر في الفكر الصوفي

بقلم عميد متقاعد :
محمود الراكبي

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أُنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا ﴾ [الكهف : ١] ، نحمده سبحانه ، حيث أنزل إلينا : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾ [فصلت : ٣] ، له الحمد سبحانه ، حيث جعل القرآن تبيانًا لكل شيء ، وأكد سبحانه ذلك بقوله : ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ٣٨] ، ثم الحمد لله كل الحمد ، حيث تعهد بحفظ القرآن ، ولم يوكل ذلك إلى غيره ، وأرسل إلينا خاتم أنبيائه وخاصة رسله وأصفيائه سيدنا محمد ﷺ ، الذي جاهد في اللَّه حق جهاده حتى أتاه اليقين ، بلَّغ رسالة ربه ونصح لقومه ، شرح لهم الدين وبيَّنه لهم أوضح تبيين ، وفصل لهم حقائقه، وصدق اللَّه العظيم حيث يقول : ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [النحل : ٤٤] .

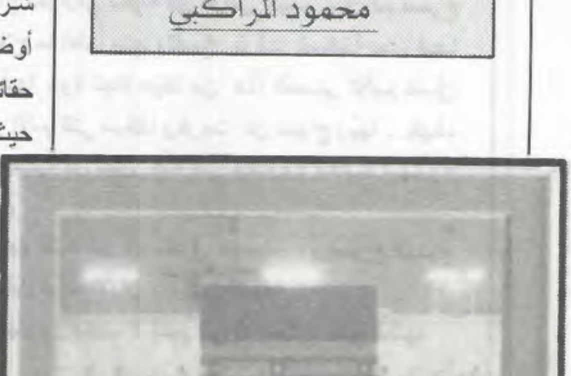

وأشهد أن نبينا ﷺ اختار الرفيق الأعلى بعد أن أكمل رسالته وأتم أركانها ، وأحل حلالها وحرم حرامها ، وأقر منهجها ومهد طريقها ، وما ترك سبيلاً يقرب إلى اللَّه إلا ودلنا عليه ، وما خاف علىَ أمته من ذنب صغير أو كبير إلا وحذرها منه ، وأشهد أصحابه على ذلك يوم الحج الأكبر ، فشهدوا أنهم تلقوا عنه الدين واضحًا جليًا لا لبس فيه ولا غموض ، ليله كنهاره ، فما ترك أمته إلا على المحجة البيضاء ، لا يزيغ عنها إلا هالك ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيد ولد آدم المبعوث رحمة للعالمين ، الشفيع يوم الهول الأكبر ، صاحب لواء الحمد يوم المثول بين يدي اللَّه عز وجل والعرض ، فاللهم اجز عنا نبيك أفضل ما جزيت نبيًا عن قومه ، واحشرنا يا مولانا في زمرته وتحت لوائه ، وصلِّ اللهم عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا ، أما بعد :

فتعد قصة موسى والخضر ، عليهما السلام ، من القصص الغنية التي شغلت المسلمين عامة ، والصوفية والباطنية خاصة ، حتى جعلوا منها عمود الرحى الذي تدور حوله أفكارهم ومعتقداتهم ، بل إنهم قسموا الدين إلى ظاهر وباطن ، اعتمادًا على الوقائع التي أجراها اللَّه تبارك وتعالى

على يدي العبد الصالح ، وقد شغلتني هذه القصة منذ سنة ١٩٧١ م ، كما شغلت غيري من السالكين إلى اللّه عز وجل ، وكان يشدني أي كتاب يتناول هذه القصة ، وقد اطلعت على أكثر الكتب المطبوعة للمؤلفين المعاصرين أو القدامى ؛ مثل : ((الزهر النضر في نبأ الخضر)) لابن حجر العسقلاني ، و((الميزان الخضرية)) للشعراني ، و((الخضر ﷷ وشأنه في الأنام)) لحسين السلاوي ، و((حياة الخضر)) لمحمود شلبي . وغيرها مما لا يتسع المجال لحصرها ، بخلاف أمهات الكتب التي بحثت الموضوع من جوانب متعددة ، وكانت تستوقفني أخبار هذا اللقاء المتناثرة في أمهات كتب التفسير والحديث الشريف ، وكتب الرقائق والتصوف وغيرها ، وقد لاحظت أن هذه الكتب تتناول القصة مجردة عن النتائج التي بنيت عليها ، كما أن مؤلفيها إما صوفي مؤيد لحياة الخضر وولايته ، وإما منكر معارض للصوفية ، ولم أجد في هذه الكتب ما يشفي غليلي ويغطي جوانبه بما يحسم القضية ، وهذا لا يتأتى إلا بمناقشة أفكار كل طرف وأدلته ، وقياسها على هدي الكتاب والسنة ، ثم مناقشة الآثار المترتبة على هذه الأفكار .

وقد بدأ اهتمامي بهذه القصة لأنها تمثل حجر الأساس عند الصوفية ، وكل من يعتقد بتقسيم الدين إلى ظاهر وباطن ، ومن أهم عناصر هذه القصة معرفة من هو الخضر ؟ وهل هو حي حتى اليوم ؟ وما هي مهمته ؟ أهو نبي أم ولي ؟ وما الهدف من لقائه موسى ؟ وبالتالي ما هو العلم اللدني ؟

وسنتناول بتوفيق اللّه تعالى هذه الأسئلة بالدراسة والتحليل خلال المقالات التالية ، حتى نصل إلى البيان الموافق لفهم السلف الصالح عن هذه القضايا .

أولا : اسم العبد الصالح :

ولتكن بداية دراستنا هذه معرفة اسم العبد الصالح ؛ والمعروف أن القرآن الكريم لم يذكر اسمًا للعبد الذي لقي موسى ﷷ ، وإنما أشارت الآيات إلى وصفه بالصلاح واختصاصه بعلم من لدن الحق تبارك وتعالى ، في حين نصت السنة النبوية المطهرة أن اسمه الخَضِر ، وسبب تسميته يرويه البخاري وأحمد والترمذي وابن حبان ، حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ ، حيث يقول : ((إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء)) . واتفق في الصحاح على أن كنيته أبو العباس.

وعن مجاهد قال : (إنما سمي الخضر ؛ لأنه أينما صلى اخضر حوله) . ((قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس)) لأبي إسحاق النيسابوري المعروف بالثعالبي (٢٢٠) .

ثانيًا : بدء أمر الخضر :

لم يتوقف المغرمون بغرائب الأمور عند القدر الذي صرحت به مصادر الدين الأصلية ، بل شغلوا أنفسهم بأمور كثيرة لا تقدم ولا تؤخر في صلب قصة موسى والخضر ، عليهما السلام ، منها ما هو بدء أمر الخضر ؟ ويجيبنا على هذا التساؤل الحكيم الترمذي في كتابه ((ختم الأولياء)) ، فبعد أن وصف الأولياء وأوضح علاماتهم نراه يقول : اتفاق الألسنة بالثناء عليهم ، إلا من ابتلي بحسدهم ، استجابة الدعوة وظهور الآيات : مثل طي الأرض ، والمشي على الماء ، ومحادثة الخضر ﷷ ، الذي تطوى له الأرض ، برها وبحرها ، وسهلها وجبلها ، في طلب مثلهم والشوق إليهم ، وللخضر ﷷ قصة عجيبة في شأنهم ، وقد عاين شأنهم في البدء ، ومن وقت المقادير ، فأحب أن يدركهم ، فأعطي الحياة حتى بلغ من شأنه أنه يحشر مع هذه الأمة وفي زمرتهم ، حتى يكون تبعًا لمحمد ﷺ ، وهو رجل من قرن إبراهيم الخليل ، وذي القرنين كان على مقدمة جنده ، حيث طلب ذو القرنين

عين الحياة ففاتته ، وأصابها الخضر في قصة طويلة . « ختم الأولياء » للحكيم الترمذي (٣٦٢) .

ويقول الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق في كتابه « الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة » : إن الحكيم الترمذي أول من افترى القصص الصوفية للخضر ، انظر صفحة (٢١٨) .

وتقرر هذه القصة أمورًا غريبة ؛ أهمها بدء شأن الخضر في يوم كتابة المقادير ، وحبه للصالحين هو سبب بقائه إلى قيام الساعة ، وأنه عاش في زمن إبراهيم الخليل ، وأنه شرب من ماء الحياة .

ثالثا : نسب العبد الصالح :

ومما اختلف الناس فيه اختلافًا كثيرًا قولهم حول القضايا الآتية : نسب الخضر ومن يكون ؟ متى ولد ؟ وكم عاش من السنين ؟ هل وافته المنية ، أم ما زال يحيا إلى اليوم ؟ هل سيموت قبل قيام الساعة مباشرة ؟ قد اختلفت أقوالهم وفاقت العشرة أقوال لم تتفق على أول تساؤل يعرفنا من هو الخضر ؟ وسنورد الآن هذه الآراء ، ثم نناقشها تفصيليًا فيما بعد ، فقد قالوا : الخضر هو :

١- ابن آدم عليه السلام لصلبه نسئ له في أجله حتى يقتل الدجال .

٢- ابن قابيل واسمه خضرون .

٣- ابن نوح عليه السلام .

٤- من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل .

٥- ابن أرميا بن خلقيا .

٦- ابن فرعون ، وقيل : ابن بنت فرعون .

٧- من سبط هارون عليه السلام .

٨- هو المعمر بن مالك بن عبد الله بن الأزد .

٩- هو اليسع .

١٠- أمه رومية وأبوه فارسي ، وقيل : من ولد فارس .

ويا ترى أي الأقوال السالفة هي الصواب ، هذا ما سنعرفه فيما يلي :

حياة الخضر عليه السلام :

يقرر القول الأول من الأقوال العشرة التي ذكرناها آنفًا أن حياة الخضر عليه السلام ممتدة منذ آدم عليه السلام إلى قيام الساعة ، ولا شك أنها حياة أطول من أن نتأملها دفعة واحدة ؛ لذا سندرس الأقوال التي وردت عن هذه الحياة بعد تقسيمها إلى مراحل ثلاث :

١- حياة الخضر قبل الطوفان .

٢- حياة الخضر بعد الطوفان .

٣- حياة الخضر بعد بعثة النبي ﷺ .

وسنحاول دراسة هذه المراحل على ضوء الكتاب والسنة ، فنعرض الآيات القرآنية ، ثم الأحاديث النبوية ، وأقوال الصحابة والتابعين ، مع تخريج الآيات من القرآن الكريم ، وكذا نخرج الحديث وبيان موضعه من مصادر السنة المعتمدة .

أولا : حياة الخضر قبل الطوفان :

تضاربت الأقوال الثلاثة الأول حول حياة الخضر عليه السلام قبل الطوفان ، فقالوا : أبوه آدم ، ومنهم من قالوا : أبوه قابيل . وقال آخرون : إنه ابن نوح عليه السلام !!

القول الأول : الخضر ابن آدم :

رواه ابن عساكر في « تاريخ دمشق » (٥: ١٤٥) ، والدارقطني في « الأفراد » من طريق رواد بن الجراح ، وعقب بقوله : وهذا حديث محال عن ابن عباس . ثم تتبع رواة الحديث بقوله : رواد بن الجراح ضعيف . وقال البخاري : رواد لا يكاد أن يقوم به حديث .

كما ذكره النسائي في « الضعفاء » ترجمة رقم (١٩٤) ، وقال : (ليس بالقوي ، روى غير حديث منكر ، وكان قد اختلط) . قال : حدثنا مقاتل بن سليمان عن الضحاك ، عن ابن عباس أنه قال : الخضر بن آدم لصلبه ونسئ له

أجله حتى يقتل (وفي رواية : حتى يكذب) الدجال . ومقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ، هو أبو الحسن البلخي ، المفسر ، كذبوه وهجروه ، توفي سنة ١٠٥ هـ ، وقال عنه الذهبي في « المغني في الضعفاء » ترجمة رقم (٦٤٠٠) : هالك ، كذبه وكيع والنسائي ، ذكره العقيلي في « الضعفاء » ، وترجم له ابن حجر في « التهذيب » (١٠: ٢٥١) ترجمة رقم (٥٠٣) ، وذكره الدارقطني في « الضعفاء » ترجمة رقم (٥٢٧) ، وقال : (خراساني يكذب ، وقد كذبوه وهجروه) . قد أكثر العلماء في تجريح مقاتل بن سليمان ؛ فقد قال النسائي عنه : (لا شيء البتة) . وقال وكيع بن الجراح : (مقاتل كذاب) ، وقال ابن معين : (ليس حديثه بشيء) . وقال السعدي وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني : (مقاتل كان دجالاً جسورًا) ، وقال أبو حاتم : متروك الحديث ، وقال أبو داود : (تركوا حديثه) . وقال زكريا الساجي : (كذاب متروك الحديث) . وقال النسائي : (هو من الكذابين المعروفين يضع الحديث) . وقال عمرو بن علي الفلاس : (مقاتل كذاب متروك الحديث) . وقال يحيى بن معين : (ليس حديثه بشيء) . وقال أحمد بن سيار : هو متروك الحديث ، ومهجور القول ، وكان يتكلم في الصفات بما لا تحل الرواية عنه . أما الضحاك فهو ابن مزاحم ، وكان شعبة : (لا يحدث عن الضحاك وينكر أن يكون لقي ابن عباس) . وقال يحيى بن سعيد : (الضحاك عندنا ضعيف) . ويقول ابن حجر العسقلاني في « الروض النضر » صفحة (١٩) : (ورواد ضعيف ، ومقاتل متروك ، والضحاك لم يسمع من ابن عباس) . راجع « تهذيب التهذيب » (٤: ٣٩٨) .

درجة الحديث : ضعيف ومنقطع وغريب ، وقيل : إسناده موضوع .

القول الثاني : الخضر بن قابيل بن آدم :

ذكره أبو حاتم سهل بن عثمان السجستاني في كتاب « المعمرين » ، قال : حدثنا مشيختنا منهم أبو عبيدة وغيره ، قالوا : (إن أطول بني آدم عمرًا الخضر ، واسمه خضرون بن قابيل بن آدم) . درجة الخبر : إسناده معضل ، كما وصفه ابن حجر في « الزهر النضر » صفحة (١٩) ، وللتعريف بالإسناد المعضل نقول : أعضل بمعنى أعيا وأوهن ، وذلك لوجود سقط راويين غير متتاليين في السند ، والسقط الأول في بداية السند ، حيث أبهم الراوي الشيخ الذي تلقى عنه الحديث ، والسقط الثاني في إرساله الخبر من شيخه أبي عبيدة دون أن ينسبه إلى تابعي أو صحابي أو يرفعه إلى النبي ﷺ ، ومثل هذا السند لا ينظر إليه ، والسند المعضل يعد من أوهى أنواع ضعف الإسناد .

القول الثالث : الخضر بن نوح ﷷ :

وهذا القول من الإسرائيليات التي رواها كل من ابن قتيبة والطبري والنووي وابن عساكر عن وهب بن منبه ، وورد فيها أن اسم الخضر بليا أو إيليا بن ملكان ، وقيل : كلمان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، رواه الطبري في « تاريخه » (١: ١٨٦) ، وابن عساكر (٥: ١٤٥) ، وابن عربي في « الفتوحات المكية » (٣: ٣٣٦) ، ذكره ابن حجر في « الزهر النضر » صفحة (١٩) ، وقال : وهذا حديث معضل .

ويحاول أصحاب هذه الآراء تفسير سبب تعمير الخضر ومخالفة حياته لسنة اللّه تبارك وتعالى مع موت البشر .

هل عاش الخضر قبل الطوفان :

يبرر القائلون أن الخضر ابن لآدم ﷷ رأيهم هذا ، بقصة ذكرها ابن إسحاق في « المبتدأ » قال : (حدثنا أصحابنا أن آدم لما

حضره الموت جمع بنيه وقال : إن الله منزل على أهل الأرض عذابًا فليكن جسدي معكم في المغارة حتى تدفنوني بأرض الشام ، فلما وقع الطوفان قال نوح لبنيه : إن آدم دعا الله أن يطيل عمر الذي يدفنه إلى يوم القيامة ، فلم يزل جسد آدم حتى كان الخضر هو الذي دفنه وأنجز الله له ما وعده ، فهو يحيا إلى ما شاء الله أن يحيا) .

وسند القصة معلق ولا يُعرف قائلها ، ولا نقلت عمن ؟ ومثل هذه الحكايات لا تعد علمًا ، كما أن متن القصة ينطوي على ما يلي :

١- أيخالف آدم عليه السلام سنة الله عز وجل في التعجيل بدفن الموتى ؟

٢- كيف يخشى آدم عليه السلام من دفنه ويأمر بترك جسده في مغارة أكثر من عشرة قرون ، وما الذي منع الطوفان أن يغمر المغارة ؟!

٣- لو قال آدم لبنيه : لا تدفنوني ، أيجرؤ الناس بعد ذلك على دفن موتاهم ويعرضونهم للعذاب الذي حذر منه أبوهم آدم !

٤- كيف لم يبادر نوح نفسه أو بنوه إلى دفن آدم عليهما السلام حتى يظفر أحدهم بطول العمر ، كما تعد الرواية !!

٥- القول أن الخضر بن آدم عليهما السلام يستلزم معاصرة الخضر لرسالة نوح ، عليهما السلام ، وإيمانه بها ، ثم ركوبه السفينة ونجاته من الطوفان وبقاؤه حيًا بعد وفاة نوح عليه السلام ، وهذا يتعارض مع القرآن الكريم الذي يقرر أن الناجين من الطوفان هم فقط ذرية نوح ، قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ ﴾ [الصافات : ٧٧] ، فالقول بأن الخضر ابن لآدم من صلبه قول على الله بغير علم ، وليس له دليل ثابت من الكتاب والسنة ، ومن المعلوم أن دين الله تبارك وتعالى لا يستند على حكايات القصاص !!

ثانيًا : حياة الخضر بعد الطوفان :

تشير الأقوال الثمانية - التي ذكرها ابن حجر العسقلاني في « الإصابة » وفي « الزهر النضر » - إلى حياته بعد الطوفان نناقشها فيما يلي :

١- الخضر بن عمائيل بن النون بن العيص بن إسحاق ؛ حكاه ابن قتيبة أيضًا ، وكذا سمى أباه عمائيل مقاتل ، ورواه ابن عساكر ، ونقله عنه ابن كثير وابن حجر .

٢- الخضر بن أرميا بن خلقيا : رواه محمد بن إسحاق بن يسار ، عن وهب بن منبه ، وقد ورد ذلك القول لابن جرير الطبري .

٣- الخضر بن فرعون أو ابن بنته : رواه محمد بن أيوب عن أبي لهيعة ، وقال ابن الجوزي : وهما ضعيفان ، يتسم هذا الخبر بالغرابة والسذاجة ؛ إذ كيف يكون الخضر ابن فرعون ، أو ابن بنته ولا يعرفه موسى عليه السلام وهو الذي نشأ في بيت فرعون وبين أفراد أسرته ، ثم ما الداعي إلى سفر موسى وفتاه إلى مَجْمَع البحرين للقاء الخضر ؟!

٤- الخضر من سبط هارون : روي عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن ابن عباس ، وإسناده ضعيف جدًا ، ويعلق ابن حجر على هذا الخبر بقوله : وهو بعيد .

٥- الخضر بن معمر بن مالك بن عبد الله بن أزد : رواه إسماعيل بن أبي أويس .

٦- الخضر هو إلياس : روي عن مقاتل ، وروى ابن عساكر بإسناده إلى السدي أنه أخوه ، ويقول ابن حجر : وحكي عن مقاتل أيضًا ، وهو بعيد أيضًا .

٧- أمه رومية وأبوه فارسي : رواه الثعلبي في « العرائس » ، والسهيلي وابن عساكر وابن كثير .

٨- أنه من ولد فارس : أخرجه الطبري عن ضمرة بن ربيعة ، عن ابن شوذب .

فإلى الملتقى ، إن كان في العمر بقية .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

محنــة الأمــة

بقلم / صرموم يحيى

حي العربي معلق - الجزائر

إن الحمد للّه نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنـا ، من يهده اللّه فلا مضلَ له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إلـه إلاّ اللّـه وحده لا شريك لـه ، وأشـهد أن محمدًا عبده ورسوله . أما بعد :

إنَّ المتأمل في أحوال المسلمين اليوم يرى أنَّ ما تمر به الأمة الإسلامية من محنٍ ونكبات هـي الأخطر مـن نوعها ، حيث تداعت عليها الأُمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، وحوصر المسلمون حصـارًا شـديدًا لـم يعرفـوه عبر تاريخهم الطويل ، حتى في أحلك الأوقات ، والعالم كله تألَّب عليهـم ورمـاهم عن قـوسٍ واحـدة ، لا يـألوهم خبالاً ، ولا يرقب فيهم إلاً ولا ذمة ، حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ، وصاروا لا يعيشون إلاّ على أنقاض الأحداث السياسية ، نشـاطهم يقـوى بقوتهـا ، ويضعف بضعفهـا ، وكـأنهم - هـم أيضـًا - كُتِبَ عليهـم شــقاء السياسيين ، ونسوا أنه لا سبيل إلى التخلص من هذا الذل المضروب علينا من قـرون ، إلا بـالرجوع إلـى الديـن الصحيح ، كما روى ابن عمر ، رضي اللّه عنه ، عن النبي ﷺ أنه قال : ((إذا تبـايعتهم بالعينـة ، وأخذتـم أذنـاب البقر ، ورضيتم بالزرع ، وتركتم الجهاد ، سلَّط اللّه عليكم ذلاً لا ينزعه عنكـم حتـى ترجعوا إلـى دينكـم)) . رواه أبو داود ، وهو صحيح .

لذا وجب المسارعة إلى تحقيق ما يرفع عنا هذا الذل ، وهو : الرجوع إلى صفاء الوحيين ؛ الكتـاب والسـنة على فهم السلف الصالح ، ولن يتسنى ذلك إلا بالعلم ، ولن يُكتب للمسلمين سؤدد ولا رفعة حتى يؤسسوا عملهم على العلم ويعرفوا له ولأهله قدره ، قال تعالى : { نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاء } [الأنعام : ٣٨] .

قال الإمام مالك ، رحمه اللّه : بالعلم . ((شرح السنة)) للبغوي ، وفي ((صحيح مسلم)) عن عـامر بـن واثلـةَ الليثي أن نافع بن عبد الحارث لقيَ عمر بعسفان ، وكان عمر يستعمله على مكةَ ، فقال : من استعملت على أهل الوادي ؟ فقال : ابن أبزى ، قال : ومن ابن أبزى ؟ قال : مولى من موالينا ، قـال : فاستخلفت عليهم مولـى ؟ قـال : إنـه قارئ لكتاب اللّه ، عز وجـل ، وإنـه عـالم بـالفرائض . قـال عمـر : أمـا إن نبيكـم ﷺ قـال : ((إن اللّه يرفع بهذا الكتاب أقوامًا ، ويضع به آخرين)) .

وعن الحسن قال : كانوا يقولون : موت العالِم ثُلمةٌ في الإسلام لا يسدّها شيء ما اختلف الليل والنهار .

وعن هلال بن خباب قال : سألت سعيد بن جبير قلت : يا أبا عبـد اللّـه ، مـا علامـة هـلاك النـاس ؟ قـال : إذا هلك علماؤهم . أخرجه الدارمي .

وقد قام العلماء - جزاهم اللّه عنا خـير الجزاء - فـي السـابق واللاحق بواجبهم علـى أكمـل وجـه وأحسـن صورة ، رغم كل ما لاقوه ويلاقونه من عراقيل وشدائد في سبيل إرشاد الأمةَ وترشيد الصحوة وإرجـاع الناشـئة للجادة الحق والطريق المستقيم

وإني - أُشهد اللّه - لأرجو أن يكون لي دورٌ في هذا العمل الإصلاحي ، وأن أقدّمِ شيئـًا لهذا الدين أحتسبه ذخرًا لي عند ربَ العالمين، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلبٍ سليم.

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين .

من روائع الماضي

الكلمة الطيبة صدقة

كتبه الشيخ :

محمد خليل هراس

(رحمه الله)

عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((كل سُلامى من الناس عليه صدقة ، كل يوم تطلع فيه الشمس : تعدل بين الاثنين صدقة ، وتعين الرجل في دابته ؛ فتحمله عليها ، أو ترفع له متاعه عليها صدقة ، والكلمة الطيبة صدقة ، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة ، وتميط الأذى عن الطريق صدقة)) . رواه البخاري ومسلم .

❁ شرح مفردات الحديث :

❁ ((كل سُلامى من الناس عليه صدقة)) : ((كل)) بالرفع مبتدأ ، و ((سلامى)) مضاف إليه ، والخبر : ((عليه صدقة)) ، والسُلامى بضم السين وتخفيف اللام هو العضو ، وجمعه سلاميات ، بفتح الميم وتخفيف الياء ، وقيل : جمعه ومفرده واحد .

وقال ابن الأثير في ((النهاية)) : السُلامى جمع سلامية ؛ هي الأنملة من أنامل الأصابع ، وهي التي بين مفصلين من أصابع الإنسان . وقيل : كل عظم مجوف من صغار العظام .

وقال النووي في شرح ((مسلم)) : أصله عظام الأصابع وسائر الكف ، ثم استعمل في سائر عظام البدن ومفاصله .

وقوله : ((من الناس)) في محل الصفة لسُلامى ، والضمير في ((عليه)) عائدة إلى الجنس ، كما في قوله ﷺ : ((خير نساء ركبن الإبل وأحناه على زوج نساء قريش)) . ولهذا ورد بصيغة التذكير .

قال السهيلي في ((الروض)) : الضمير فيه عائد على الجنس ، أو الضمير عائد على السُلامى ، وذكره باعتبار أنه عضو أو مفصل .

❁ ((كل يوم تطلع فيه الشمس)) : هذا ظرف مبين لتجدد وجوب هذه الصدقات على الإنسان صبيحة كل يوم في مقابل ما أنعم الله به عليه من خلق تلك السلاميات ودوامها ، ولو شاء لسلبها عنه ، وقد ورد أن الصدقة تدفع البلاء ، فبإخراجها عن أعضائه يرجى اندفاع البلاء عنها ، وظاهر قوله ﷺ : ((عليه صدقة)) وجوب الشكر بهذه الصدقة كل يوم .

لكن جاء في رواية أخرى : ((فإن لم يفعل فليمسك عن الشر ، فإن له به صدقة)) . وهو يدل على أنه يكفيه أن لا يفعل شيئًا من الشر في إسقاط هذا الوجوب .

❁ ((تعدل بين الاثنين صدقة)) : هذا بيان لبعض أنواع الصدقات التي يمكن أن يتصدق بها صبيحة كل يوم ، والجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : بأي شيء تتصدق ؟ فقيل : تعدل .. إلخ .

وهو يدل على أن لا تكون بمال

فقط ، بل تشمل كل ما فيه نفع للمسلمين ، أو دفع أذى عنهم ، كما أنه لا يلزم أن تكون متعدية إلى الغير ، فإن المشي إلى الصلاة نفعه قاصر على صاحبه ، والمراد بالعدل بين الاثنين هو الفصل فيما شجر بينهما من نزاع ، مع تحري العدل في ذلك ، فلا يحابي أحدهما لنسب أو قرابة أو صداقة ، ويجتهد في إصلاح ذات بينهما ، فيكون له ذلك صدقة ، حيث أزال ما بينهما من إحن ، ووقاهما مما يترتب على الهجر والخصام من قبيح الأقوال والأفعال .

❁ « وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها » : هذا هو الأمر الثاني أن يعين الرجل في شأن دابته ، فإن كان يريد الركوب عليها أمسكها له حتى يركب ، أو أعانه على النهوض فوقها ، وإن كان يريد أن يحمل عليها متاعًا ساعده في رفعه ، فهو عمل من أعمال المروءة التي يشكرها الله للعبد ويحسبها له صدقة ، والدابة في الأصل اسم لكل ما يدب على الأرض ، ثم استعملها العرف في ذوات الأربع ، وقد يراد لها خصوص الخيل

❁ « والكلمة الطيبة صدقة » : الطيب ضد الخبيث ، وهو كل ما فيه نفع وصلاح ، مع خلوه من الشر والفساد ، والمراد بالكلمة الطيبة مثل الذكر والدعاء لنفسه أو لغيره وإفشاء السلام ورده ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقد ضرب الله المثل للكلمة الطيبة بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . وفي الحديث : « رحم الله عبدًا قال خيرًا فغنم ، أو سكت فسلم » .

❁ « وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة » : الخطوة بفتح الخاء اسم للمرة من الخطا ، وبالضم لما بين القدمين ، ويلحق بالصلاة في ذلك ما في حكمها من طلب العلم وصلة الأرحام وزيارة الإخوان ، وغير ذلك من القربات .

❁ « وتميط الأذى عن الطريق صدقة » : يقال : أماط الشيء عن الشيء ؛ بمعنى أنه أزاله ونحاه ، والأذى كل ما يؤذي المارة من حجر وشوك ونحوهما .

وإنما جعل إماطة الأذى آخرًا ؛ لأنها دون ما قبلها من الخصال في الأهمية ، كما يدل عليه الحديث الصحيح : « الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

❁ المعنى الإجمالي للحديث :

ينبه الرسول ﷺ في هذا الحديث إلى جسيم نعمة الله عز وجل على الإنسان ، حيث بنى هيكله العظمي على تلك الصورة البديعة المتقنة ، ونسق أعضاءه ومفاصله على هذا النحو العجيب الذي يمكنه من أداء الأعمال والحركات المختلفة ، وكيف أنه سبحانه حفظ هذه الأعضاء من التلف والفساد إلى الأجل الذي قدره لها .

ويبين أن ذلك يقتضي من الإنسان المبادرة إلى شكر الله عز وجل على كل سُلامى من هذه السلاميات ، وأن ذلك الشكر واجب متجدد عند بزوغ شمس كل يوم ، ثم يشير الرسول ﷺ إلى بعض مظاهر هذا الشكر وصوره على وجه التمثيل لا التعيين ، إذ هي لا تنحصر في الأمور التي وردت في الحديث ، فمنها :

١- أن يسعى في الصلح بين المتخاصمين وإزالة ما عساه أن يقع بينهم من عداوة وشحناء ، تجر عليهم كثيرًا من المصائب والويلات ، وتدفعهم إلى ارتكاب ما يحرمه الدين ويأباه الخلق الكريم ، وفي الحديث الصحيح : « ألا أنبئكم بأفضل من درجات الصلاة والصيام والصدقة ؟ » قالوا : بلى ، قال : « إصلاح ذات البين بين المسلمين . وفساد ذات البين هي الحالقة لا أقول تحلق الشعر . ولكن تحلق الدين » . وقد أباح الشرع لمن يحاول بين الناس أن يكذب إذا

وجد أن ذلك قد يعينه في الوصول إلى غرضه ، فقد جاء في الحديث الصحيح : « ليس بالكذاب من أصلح بين الناس فقال خيرًا ، أو نمى خيرًا » .

وقد نوه القرآن العظيم بشأن الإصلاح بين المتنازعين ، وبين أن ذلك مما تقتضيه أخوة الإيمان . قال تعالى : ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [الحجرات : ٩، ١٠] ، وقال تعالى في سورة « النساء » : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٤] .

٢- ومن ذلك أيضًا أن يعين بعض المسلمين بعضًا في كل ما يحتاج فيه إلى معونة ، وقد مثل النبي ﷺ لذلك بإعانته على ركوب الدابة أو حمل متاعه عليها . ولا شك أن تقديم المعونة للمحتاج إليها من أفضل أعمال المروءة التي يهملها كثير من الناس ، وفي الحديث الصحيح : « والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » .

٣- ومن مظاهر شكر الله على نعمته أيضًا أن يحفظ الإنسان لسانه ، حتى لا يصدر عنه إلا كل قول جميل ، فلا يستعمله إلا في ذكر الله عز وجل ، وإسداء النصح لكل مسلم ، وفي مدارسة العلم ونشره ، وليحذر كل الحذر من أن يطلق للسانه العنان ، فإنه مصدر لكثير من الموبقات ؛ كالكذب ، والغيبة ، والنميمة ، وشهادة الزور ، والفحش ، والبذاء ، وغير ذلك من عظائم الذنوب .

وقد جاء في حديث معاذ المشهور أن النبي ﷺ قال له : « ألا أدلك على مِلاك الأمر كله ؟ » قال : بلى ، قال : « كُفَّ عليك هذا » . وأخذ بطرف لسانه ، فقال معاذ : وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به يا رسول الله ؟ قال : « ثكلتك أمك ، وهل يكب الناس في النار على مناخرهم - أو قال : على وجوههم - إلا حصائد ألسنتهم » .

وفي الحديث الصحيح الآخر : « إذا أصبح ابن آدم فإن الأعضاء تُكَفِّرُ اللسان ، تقول له : اتق الله ، فإنما نحن بك ، فإن استقمت استقمنا ، وإن اعوججت اعوججنا » .

وقد سئل النبي ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس النار ، فقال : « الأجوفان : الفم ، والفرج » .

٤- ومنها كذلك الخطا إلى المساجد لأداء فريضة الله عز وجل ، وفي الحديث الصحيح : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط » .

وفي الحديث الآخر : « بشر المشائين إلى المساجد في الظلمات بالنور التام يوم القيامة » .

وقد ورد أن بني سلمة كانت بيوتهم بعيدة عن المسجد ، فأرادوا أن يبيعوها ويستبدلوا بها بيوتًا قريبة من المسجد ، فقال لهم النبي ﷺ : « يا بني سلمة ، ألا تحتسبون آثاركم ؟ » .

ومنها كذلك إزالة كل ما يضر المارة ويؤذيهم من حجارة ، أو شوك ، أو قشر موز ، أو نحوه ، فهو صدقة لمن يفعله .

فحبذا لو تدبر المسلمون هذه المعاني الكريمة التي تضمنها هذا الحديث ، وأخذوا بها أنفسهم ؛ إذًا لرأينا مجتمعًا سليمًا متكافلا لا أثر فيه لأنانية ، ولا موضع لفرقة أو بغضاء .

والله الموفق .

محمد خليل هراس

﴿ إنا لله وإنا إليه راجعون ﴾

توفي إلى رحمة الله تعالى الشيخ فاضل عثمان أبو صاجة رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ببورسعيد ، وهو رجل من رجالات الإسلام ، وذلك يوم الاثنين الموافق ١٩٩٩/٨/٩ م عن عمر يناهز ثلاثة وثمانين عامًا ، حيث أنه من مواليد عام ١٩١٦ م .

وكان - رحمة الله عليه - حاصلاً على ليسانس الحقوق ، ثم اجتهد وحصل على دبلوم الدراسات الإسلامية عام ١٩٧٤ م ، ثم دبلوم الدراسات العليا في القانون سنة ١٩٧٦ رغم أنه كان مديرًا للشئون المالية والإدارية بمديرية الشئون الصحية ببورسعيد .

وهو زوج ابنة الشيخ أحمد عبد الله الشهير بأحمد أبو السيد رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية ببورسعيد سابقًا ، ثم بعد وفاة الشيخ أحمد أبو السيد تولى فضيلة الشيخ فاضل عثمان أبو صاجة رئاسة أنصار السنة ببورسعيد .

وكان - رحمة الله عليه - من دعاة التوحيد المخلصين في دعوته ، ولا نزكي على الله أحدًا . ثم كانت حرب ١٩٦٧ ، حيث هاجرت بورسعيد ، فهاجر الشيخ إلى محافظة دمياط ، وصار يدعو إلى التوحيد من خلال جدول أنصار السنة المحمدية بدمياط يسعى بين منابر الجماعة في الشهداء والمنيا ودمياط ورأس البر يدعو إلى الله على بصيرة .

يرحمه الله رحمة واسعة .

خطبة عند القبر

عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - قال : كنا في جنازة في بقيع الغرقد ، فأتانا النبي ﷺ فقعد ، وقعدنا حوله ، ومعه مخصرة ، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ، ثم قال : ((ما منكم من أحد)) . ((ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار ، وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة)) . فقال رجل : يا رسول الله ، أفلا نتكل على كتابنا ، وندع العمل ، فمن كان منا من أهل السعادة ، فسيصير إلى عمل أهل السعادة ، وأما من كان منا من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة ؟ فقال رسول الله ﷺ : ((لا ، اعملوا فكل ميسر لما خلق له ، أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة ، وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاوة)) .

ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَن أَعْطَى وَاتَّقَى ۞ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ الآية .

مطابع دار الطباعة والنشر الإسلامية/العاشر من رمضان/المنطقة الصناعية ب٢ تليفاكس : ٣٦٢٣١٣ - ٣٦٣٣١٤ .

قل هو الله أحد
الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا أحد

جماعة أنصار السنة المحمدية

تأسست عام ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦م

١ الدعوة إلى التوحيد الخالص المطهر من جميع الشوائب. وإلى حب الله تعالى حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى طاعته وتقواه، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم حباً صحيحاً صادقاً يتمثل فى الاقتداء به واتخاذه أسوة حسنة.

* * *

٢ الدعوة إلى أخذ الدين من نبعيه الصافيين - القرآن والسنه الصحيحة - ومجانبة البدع والخرافات ومحدثات الأمور.

* * *

٣ الدعوة إلى ربط الدنيا بالدين بأوثق رباط: عقيدة وعملاً وخلقاً .

* * *

٤ الدعوة الى إقامة المجتمع المسلم والحكم بما أنزل الله فكل مشرع غيره - فى أى شأن من شئون الحياة - معتدٍ عليه سبحانه، منازع إياه فى حقوقه.

تلقى بمقر المركز العام للجماعة محاضرات دينية مساء الأحد والأربعاء من كل أسبوع